كتاب التحف والهدايا

تأليف

أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي
(المتوفى: نحو ٣٨٠هـ)

أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي
(المتوفى: ٣٧١هـ)

الكتاب: كتاب التحف والهدايا

الكاتب: أبو بكر مُحَمَّد بن هاشم الخالدي، أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي

الطبعة: ٢٠٢٢



الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة - جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www. bookapa.com E-mail: info@bookapa.com

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

الخالدي ، أبو بكر مُحَمَّد بن هاشم. الخالدي، أبو عثمان سعيد بن هاشم

كتاب التحف والهدايا/ أبو بكر مُحَمَّد بن هاشم الخالدي، أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

١٦٣ ص، ١٨*٢١ سم.

الترقيم الدولى: ٤ – ٣٨٣ – ٩٩١ – ٩٧٧- ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع : ٢٣٧١٣ / ٢٠٢١

كتاب التحف والهدايا





فاتحة الكتاب

"إن هذان لساحران، يغربان بما يجلبان، ويبدعان فيما يصنعان .." أبو منصور الثعالبي"

بسم الله الرحمن الرحيم

خصك الله بتحف إحسانه، ومنحك من هدايا امتنانه، وأجزل من الخير قسمك، ووفّر من اليمن سهمك، وأطال للمجد بقاك، ولأهل الرجاء نعماك، في دولة تغض عيون الخطوب، ورتبة تخرس لسان العيوب، ولا زلت للأدب معقلاً، ولأهله موئلاً؛ يصبحهم تطولك، ويغبقهم تفضلك. ما امتد العصران، وترادف الملوان.

وبعد، فإنك – أدام الله عزك – أمرتنا، لا زال أمرك نافذاً ونهيك مطاعاً: أن نختار لك بعض ما قيل في التحف والهدايا من النظم والنثر، وأن نتجنب ما لا معنى فيه، ولا فضيلة له، وأن نختصر ذلك، ونحذف فضوله، فبادرنا إلى ما أمرت، وسارعنا إلى ما رسمت، لنوفي الخدمة حقها، ونعطيها قسطها.

والشعر – أدان الله عزك – في هذا المعنى كثير الضروب، متشعب الفنون، غير أنه قليل في أشعار المتقدمين، موجود في

أقاويل المحدثين.

ووجدنا – أيدك الله_ سائر ضروبه وجميع فنونه أحدد عشر ضرباً؛ فاخترنا من كل ضرب جيده وألغينا رديه.

واقتصرنا من كل فن على روحه، واطرحنا جسمه، ليكون جميع ما ينضم إليه، وتشتمل أقطاره عليه من الشعر والأخبار، والنوادر والآثار، عيناً تبهج القلوب، ولا تمجها الآذان. ورغبنا عما يذكره مصنفو الكتب من تفضيلها وتقريظها لأن كتابنا يصف نفسه ويبين عن محله، ولأنه يزف من سمعك إلى بعل كفى، ويرد من معرفتك إلى بحر من لجى. ونرجو أن يقع من قبلك – أيدك الله – بحيث أملنا، ومن رأيك بحيث توخينا. ولله القوة و[به] المعونة.

ذكر الأبواب التي نودعها الكتاب

الباب الأول – في ذكر من أهدى هدية معها شعر.

الباب الثاني – في ذكر من أهديت إليه هدية فشكر عنها بشعر.

الباب الثالث – في ذكر من استدعى الهدية بشعر.

الباب الرابع – في ذكر من استدعى الهدية بغير شعر.

الباب الخامس – في ذكر شيء من أخبار الهدايا.



الباب الأول

في ذكر من أهدى هدية معها شعر

حدثنا أحمد بن أبي خالد قال: أهدى الرقاشي إلى يزيد ابن مزيد سيفاً موصوفاً بالعتق والجودة وكتب معه:

بعثـــت مـــا أنـــت بـــه أولى إليـــك يابـــن الشـــرف الأعلـــى

ســـيفاً رقيـــق الحـــد تعلـــو بـــه هـــان العـــدى راحتـــك العليـــا

أنـــت تـــراه مقـــة نعمـــة كمـــا أراه بغضـــة بلـــوى

وهـــو حـــرام قبـــل ذا أن يـــرى للعبـــد مـــا يصـــلح للمـــولى

وقد أخذ هذا المعنى يعقوب التمار فقال، وقد أهدى إلى مُحَمَّد بن عبد الله بن طاهر بازياً في يوم عيد:

قـــل للأمـــير الـــذي يـــداه قـــد صـــيغتا مـــن ردى وجـــود

مـــا كـــان مـــن حاجـــة المـــوالى فهـــو حـــرام علـــى العبيـــد

ومـــع رســـولي إليـــك باز أبـــرش ذو مخلـــب حديـــد

جعلتـــــه تحفـــــة لعيـــــد لاقـــاك بالطـــالع الســـعيد

ومثل هذا ما حدثناه الصولي عن يزيد بن مُحَمَّد المهلبي أن الحريري أهدى إلى المتوكل فرساً وكتب معه:

يا أمـــــــــــــــين الله في الأر	ض وللخلـــــــــــق إمـــــــــام
ملـــــك مـــــا يصـــــلح للمـــــو	لى علـــــى العبـــــد حـــــرام
ولـــــدى عبـــــدك مـــــن طـــــو	لـــــــــك آلاء جســـــــــام
وكميـــــت اللـــــون تحكـــــى	لـــــون عطفيـــــه المـــــدام
قلـــــق العـــــذر يغـــــنى	بـــــين لحييـــــه اللجـــــام
فـــــــإذا رام صـــــــــهيلاً	زمـــــــــر الشـــــــيخ "زنام"
فتطـــــول بقبـــــول الـــــط	رف مـــــــنى والســـــــلام

وقريب من هذا ما يروى أن بعض من كان في جملة أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي أهدى إليه سيفاً وكتب معه:

قـــد بعثنـــا إليـــك قـــدح المعـــالي	ورســـــول الآمـــــال والآجـــــال
وحـــرام علـــى العبيـــد إذا مـــا	ملكـــوا مـــا تخيرتـــه المـــوالى

وما نعرف في هذا المعنى بعينه غير ما ذكرنا، وبيتاً آخر في أبيات نحن نثبتها في حبر حدثناه جحظة البرمكي قال: كان أوكد الأسباب في قتل عمي جعفر بن يحيى البرمكي وزوال النعمة عن أهله أبياتاً عملها بعض الشعراء لما بنى جعفر داره "بباب الشماسية" وألقاها في القصص، فوقعت في يد الرشيد وقد جلس للمظالم، فلما قرأها تغير وجهه، وأعاد النظر فيها مرات، ثم ختمها، ودفعها إلى بعض خدمه وأمره بحفظها، فكان يدعو بها في كل يوم، وينظر فيها ويعيد ختمها، ويدفعها إلى الخادم إلى أن أوقع بالبرامكة، ثم أظهر ما فيها، وكانت:

قـــــل لأمــــين الله في خلقـــــه ... ومـــن إليـــه الحـــل والعقـــد

هــذا ابــن يحـيى جعفـر قـد غـدا ... مثلـــك مـــا بينكمـــا حـــد

أمــــرك مـــــردود إلى أمــــره ... وأمـــــره لـــــيس لـــــه رد

ونحــــن نخشـــــى أنــــه وارث ... ملكـــك إن غيبـــك اللحـــد

وقـــد بـــنى الـــدار الـــتي ماله ... شـــبه علــــى الأرض ولا نـــد

مـــا بنـــت الفـــرس نظـــيراً لهـــا ... كـــلا ولا الـــروم ولا الهنـــد

وجــــدك المنصــــور لوحلهــــا ... لمـــا اطبـــاه قصـــره "الخلـــد"

الــــدر واليــــاقوت حصــــباؤها ... وتربهـــــا العنـــــبر والنـــــد

ســــاواك في الملـــك فأبوابـــه ... آهلـــــة يعمرهـــــا الوفـــــد

ومــــا يبـــاهي العبـــد أربابـــه ... إلا إذا مـــــا بطـــــر العبـــــد

البيت الأخير من هذه الأبيات معكوس قول الحريري:

ملـــك مـــا يصـــلح للمـــو ... لى علـــــى العبـــــد حــــــرام

وحدثنا أبو الفرج قدامة بن جعفر قال: أهدى الأخيطل الأهوازي إلى ابن حجر في يوم نوروز وردة، ويهماً، وديناراً، ودرهماً، وهذه الأبيات:

قل لابن حجر ذي السماح الخضرم ... لا زلــت كــالورد نضــير الميســم

ونافـــذاً مثـــل نفـــاذ الأســـهم ... في عـــز دينـــار، ونجـــح درهـــم

وحدثنا جحظة قال: حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال: كان أبي قد ربى جارية من أكمل الجواري جمالاً وظرفاً وأدباً وصنعة، واتصل خبرها بالأمين، فتطلعت نفسه إليها، وخشي أن يكوم إبراهيم قد دنا منها،

وعلم أبي بذلك فأنفذها إليه في عقب كلام جرى له معه، وعليها قميص وشى، مكتوب على ذيله بذهب:

لا والـــذي تســـجد الجبـــاه لـــه ... مـــا لي بمـــا تحـــت ثوبهـــا خـــبر

ولا بفيهــــــا ولا همـــــــت بــــــه ... مـــا كـــان إلا الحـــديث والنظـــر

فردها ولم يقبلها، فردها إليه ومعها عود من عود هندي، قلما نظرت إلى الأمين غنت:

هتكـــت الضـــمير بـــرد اللطـــف ... وكشـــفت هجـــرك لي فانكشـــف

فـــإن كنـــت تحقـــد شـــيئاً مضـــى ... فهـــب للخلافـــة مـــا قـــد ســـلف

فقبلها منه ورضى عنه.

وحدثنا أبو النضر بن أسباط المصري: أهدى المريمي إلى أبي الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون في يوم عيد مرآة وكتب معها

ولمـــا أتـــى عيـــد عليـــك مبـــارك ... تقابـل فيـه طـالع السـعد لا الـنحس

ولم أرض مـــدحي وحـــده لـــك تحفـــة ... وإن كـان وشـياً لا يـدنس باللـبس

بعثـت بأخـت البـدر والشـمس والـتي ... رأيت لها فضلاً على البدر والشمس

بأحســـن مـــرآة لأحســـن طلعـــة ... غدت طينة للمجد في صورة الإنس

مكشـفة سـتر العمـى عـم ذوى العمـى ... ومنطقـة في وصـفها ألسـن الخـرس

بحـــيرة نـــور موجهـــا متـــدافعٌ ... ولـيس لهـا غـير التـألق مـن حـس

لهـــا نـــور إفرنـــد ورونـــق جـــوهر ... يكـــدره أدنى التـــنفس واللمـــس

صفت واستوت بالماء والنار واكتست   مـن اللـين ثـوباً وهـي كامنـة اليـبس

أتتـــك محـــلاة تـــزف كأنهـــا   عـروس تـوافى بعلهـا ليلـة العـرس

ولم أهـــدها إلا ونفســـي تحبهـــا   ولكـن نفسـي آثرتـك علـى نفسـي

وأهدينا إلى أبي الفوارس سلامة بن فهد منثوراً من بستان في دارنا، وقد تقدم وقته وكتبنا معه:

يا بـــن فهـــد وأنـــت مـــن تـــرانا   في المعـــالي نـــرى لـــه مـــن ضـــريب

زعـــم الزهـــر أنـــه كســـجايا   ك شـــبيه في حـــال حســـن وطيـــب

فأرينـــاه أنـــه يكـــذب الـــدع   وى فلـــم يلتفـــت إلى التكـــذيب

فبعثنـــا بـــه إليـــك لتلقـــا   هـ بتصـــديق قولنـــا مـــن قريـــب

وحدثنا نصر بن أحمد الخبزأرزي البصري قال: أهديت إلى ابن يزداد وهو يتقلد البصرة فصاً حسناً وكتبت معه:

أهـــديت مـــا لـــو أن أضـــعافه   مطـــرح عنـــدك مـــا بانا

كمثـل "بلقـيس" الـتي لـن يـبن   إهـــداؤها عنـــد "ســـليمانا"

هـــذا امتحـــان لـــك إن ترضـــه   بان لنـــا أنـــك ترضـــانا

حدثنا القاضي التنوخي قال: أهدى إلي نصر بن أحمد الخبزأرزي سبحة سبج وكتب معها:

بعثـــت يا بـــدر بـــني يعـــرب   بســـبحة مـــن ســـبج معجـــب

يقـــول مـــن أبصـــرها طرفـــه   نعـــم عتـــاد الخـــائف المـــذنب

لم تحـــظ إن فكـــرت في نظمهـــا   ولونهـــا مـــن حمـــة العقـــرب

وأهدى بعض الشعراء إلى رجل جليل ثوباً طريفاً وكتب معه:

هـــــذي هديـــــة واثـــــق بمكانـــــه مـــــنكم مـــــدل
يرنـــــو لمقلـــــة معظـــــم لـــــك عـــــن هديتـــه مجـــل
والظـــرف كـــل الظـــرف مـــن ك قبـــول ألطـــاف المقـــل

وحدثنا جحظة قال: حدثني عبد الله بن أحمد بن حمدون النديم عن أبيه قال: غزونا مع المأمون والمعتصم بلد الروم فأهدى إلينا مُحَمَّد بن عبد الملك الزيات ونحن بالبذندون شراباً عتيقاً عراقياً وكتب معه هذه الأبيات:

مـــا إن تـــرى مثلـــي فـــتىً أنـــدى يـــداً وأعـــم جـــوداً
أســـقى الصـــديق ببلـــدة لم يـــرو فيهـــا المـــاء عـــوداً
صـــفراء صـــافية كـــأن علـــى جوانبهـــا العقـــودا
فـــإن اســـتقل بشـــكرها أوجبـــت بالشـــكر المزيـــدا
خـــذها إليـــك كأنمـــا كســـيت زجاجتهـــا فريـــدا
فاجعـــل عليـــك بأن تقـــو م بشـــكرها أبـــداً عهـــوداً

وأهدى علي بن العباس الرومي إلى بعض الرؤساء دواة سوداء محلاة بذهب وكتب إليه:

قـــد بعثنـــا إليـــك أم المنـــايا والعطـــايا زنجيـــة الأحســـاب
قـــد تحلـــت بصـــفرة وكـــذا الـــزن ج تحلـــى شـــكلاً بصـــفر الثيـــاب
في حشـــاها بغـــير حـــرب حـــراب هـــن أمضـــى مـــن مرهفـــات الحـــراب

قال: وأهدى أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع نعلاً وكتب معها:

نعـــل بعثـــت بهـــا لتلبســـها   تمشـــى بهـــا قـــدم إلى المجـــد
لـــو كـــان يصـــلح أن أشـــركها   خـــدي جعلـــت شـــراكها خـــدي

حدثنا النوبختي قال: افتصد المتوكل فقال لخاصته وندمائه: أهدوا إلي يوم فصدى؟ فاحتفل كل واحد منهم في هديته، وأهدى إليه الفتح بن خاقان جارية لم ير الراؤون مثلها حسناً وظرفاً وكمالاً، فدخلت إليه ومعها جام ذهب في نهاية الحسن، ودن بلور لم ير مثله، فيه شراب يتجاوز الصفات، ورقعة فيها مكتوب:

إذا خـــرج الإمـــام مـــن الـــدواء   وأعقـــب بالســـلامة والشـــفاء
فلـــيس لـــه دواء غـــير شـــرب   بهـــذا الجـــام مـــن هـــذا الطـــلاء
وفـــض الخـــاتم المهـــدي إليـــه   فهـــذا صـــالح بعـــد الـــرواء

فاستطرف المتوكل ذلك واستحسنه، وكان بحضرته يوحنا بن ماسويه فقال له: "يا أمير المؤمنين، الفتح والله أطب مني فلا تخالف ما أشار به".

وأهدى أبو البكر الصنوبري إلى بعض إخوانه شمعاً وكتب معه:

يا أبا عمـــرو قـــد اخـــتر   ت فلـــم آل اختيـــارا
وتأملـــت الهـــديا   ت صـــغاراً وكبـــارا
لم أجـــد شـــيئاً كشـــيء   يجعـــل الليـــل نهـــارا
فتأمـــل مـــن قريـــب   شـــجراً يحمـــل ناراً
واكســـها منـــك قبـــولاً   تكـــس مهـــديها فخـــارا

وحدثنا طاهر بن مُحَمَّد الهاشمي الحلبي قال: أهدى الصنوبر إلى أبي شمعاً وكتب معه:

وصفر من بنات النحل تكسي ... بواطنها وأظهرها عوار
عذارى يفتضضن من الأعالي ... إذا افتضت من السفل الجواري
وليست تنتج الأضواء حتى ... تلقح في ذوائبها بنار
كواكب لسن عنك بآفلات ... إذا ما أشرقت شمس العقار
بعثت بها إلى ملك كريم ... شريف الأصل محمود النجار
فأهديت الضياء بها إلى من ... محاسنه تضيء لكل سار

وحدثنا الصولي قال: أهدى ابن المعتز إلى القاسم بن عبيد الله دفتراً وكتب معه:

فدونكه موشى نمنمته ... وحاكته الأنامل أي حوك
بشكل يأخذ الحرف المخلى ... كأن سطوره أغصان شوك

قال: وأهدى نطاحة الكاتب إلى بعض إخوانه دفتراً وكتب معه:

خذه فقد سوغت منه مشبهاً ... بالروض أو بالبرد في تفويفه
نظمت كما نظم السحاب سطوره ... وتأنق الوراق في تأليفه
وشكلته ونقطته فأمنت من ... تصحيفه ونجوت من تحريفه
بستان خط غير أن ثماره ... لا تجتنى إلا بشكل حروفه

قال: وأهدى أبو الجهم أحمد بن سيف إلى بعض إخوانه يوم النوروز شمامة مطيبة وكتب معها:

غـــــاداك يـــــوم وأي يـــــوم قـــد حـــل فيـــه الســـرور عقـــده

فتحفـــة النـــاس فيـــه شـــتى وهـــــذه تحفـــــة المـــــودة

لا زال حـــــول يحـــــث حـــــولاً يفـــنى وتعطـــى البقـــاء بعـــده

حـــتى تـــرى ألـــف مهرجـــان تلـــبس مـــن ثوبـــه أجـــده

وألـــف يـــوم يكـــون فيـــه ديـــن وهجـــر المـــدام رده

وأهدى محمد بن هاشم الخالدي إلى عمرو بن اصطفن الكاتب مروحة طريفة، وكتب معها:

أيا عمـرو يا بـن العلـى والحسـب ومـن حـل في المنصـب المنتخـب

بعثـــت إليـــك أطـــال الإل هـ عمرك مات طال عمر الحقب

بمروحـــة راحـــة للقلـــوب لهـــا نســـبان إذا تنتســـب

ففـي سـعف النخـل نخـل النبـيط وفي خيـــزران غيـــاض العـــرب

عليهـــا الحـــداد كمهجـــورة رمتهـــا عشـــيقتها بالغضـــب

منافعهـــــا أبـــــداً جمـــــة لمالكهـــا غـــير قـــول كـــذب

تـــرد التشـــارين في حمـــة مـــن القـــيظ نيرانهـــا تلتهـــب

وتجعـــل ســـتراً إذا مـــا أرد ت ســـراً إلى صـــاحب في ســـبب

وإن شـئت كانـت قضـيب الأقـاع فـــأدت إليـــك فنـــون الطـــرب

وتصـلح للضـرب ضـرب الـدلال دلال الحبيـــب إذا مـــا عتـــب

وتـــومى بهـــا في عـــروض الكـــلام إذا مـــا احتبيـــت لنشـــر الخطـــب

ومـــن بعـــد ذا كلـــه فاسمـــك ال مبـــارك في ظهرهـــا قـــد كتـــب

وحدثنا جحظة قال: أهدت جارية ظريفة إلى فتى كانت تهواه تفاحة معضوضة مكتوب عليها بذهب:

لـيس هــذا العـض مـن عيـب بهـا إنمـــــا ذاك رســـــول للقبــــــل

فلما صارت إليه كنت إليها:

تفاحـــــة جاءتـــــك معضوضـــــة قريبـــــة العهـــــد بكفيهـــــا

أكـــرم بهـــا تفاحـــة أشـــبهت حمرتهـــا حمـــــرة خـــــديها

وحدثنا أبو جعفر مُحَّد بن أحمد القمي الكاتب قال: أهدى أبو الغمر الطبري إل الحين بن زيد الراعي إلى الحق في يوم نوروز سهمين، ومعهما هذان البيتان:

أهــديت للــداعي إلى الحــق ســه مـــي فتـــوح الغـــرب والشـــرق

زجاهمـــــا النصـــــر وريشـــــاهما ريشـــا جنـــاحي طـــائر الســـبق

وحدثنا أيضلً قال: كان في ناحية كاتب للصفار شاعر ظريف؛ وكان الكاتب كريماً أديباً فأهدى إليه بعض أصحابه في يوم النوروز هدايا جليلة. وكان ذلك الشاعر مملقاً فطالبه بالهدية فذكر إملاقه، فقال له: "دع عنك هذا لا بد أن تهدى إلي شيئاً" قال: "أفعل". وانصرف فابتاع ورداً كثيراً أحمر وأهداه إليه وكتب معه:

أتاك مـــن النـــوروز يـــوم مبـــارك وعيـد علـى الـدنيا أعـد لنـا فخـراً

فأهــديت فيــه الــورد غضــاً كأنــه خـدود جـواري الـروم شـاربة خمـرا

فبــاكر بهــا كأســاً مــداماً كأنمــا تــدير يــد الســاقي بــه قمــراً بــدراً

تزيــل مقــام الهــم عــن مســتقره وتمنعــه العتــبى وتســتعبد الــدهرا

فلما قرأ الأبيات استحسنها وأمر أن يصرف جميع ما أهدى إليه في النوروز إلى هذا الشاعر وكانت هدايا جليلة فوصلت كلها له.

وحدثنا الصولي قال: أهدى مُحَمَّد بن بشر إلى أحمد بن يوسف الكاتب قارورة فيها دهن الحماحم وكتب معها:

هــو دهــن الحمــاحم الطيــب الــنش ر كـــأرواحكم إذا كـــان صـــرفاً

إن ظرفـــاً هـــديتي لـــك هـــذا وإذا مـــا قبلتـــه ازددت ظرفـــاً

فقبلها أحمد بن يوسف كتب إ ليه:

قــد أتانا دهــن الحمــاحم صــرفاً مرحبـــاً بالحمـــول ألفـــاً وألفـــاً

دهنـــة لـــو تشـــمها جـــنح ليـــل قلـــت إلـــف مخـــاطر زار إلفـــاً

وحدثنا أبو مُحَمَّد الحسن بن مُحَمَّد المهلبي قال: أهدى أبو الحسين بن أبي البغل الكاتب إلى علي بن عيسى في أيام وزارته أقلاماً، وكتب معها:

عبـــدك أهـــدى إليـــك أقلامـــاً زنجيـــة اللـــون ناســـبت جامـــا

وجـئن طوعـاً إليـك مـن بلـد ال كفـــر لكـــي يســـتعدن إســـلاما

حـــائرة في ســـبيل كـــل هـــدى تكـــون للحـــائرين أعلامـــا

زارتـــك شـــوقاً إلى بنانـــك كـــي تحـــدث نقضـــاً لهـــا وإبرامـــاً

فتخـــدم الملـــك حـــين تخـــدمها وســـطى وســـبابة وإبهامـــا

معـــدة للخطـــوب إن دهمـــت تـــبرى فتـــبرى الأكـــف وإلهامـــا

إذا تناولـــت للعـــدى قلمـــا منهـــا بـــذذت الليـــوث إقـــداما

تبصـــره العـــين مفصـــحاً وتعيـــه ال أذن عنـــــد الكـــــلام نمنامـــــا

كأنـــــه مبـــــدياً عجائبـــــه ليـــــل يـــــرى النـــائمين أحلامـــا

كـــــأن في صـــــدره لمعملـــــه رمحـــاً وفي الـــردف منـــه صمصـــاما

وحدثنا أيضاً قال: أهدى إلي بعض إخوانه بغلة معها هذه الأبيات على طريق المجون لأنه يعرف بابن أبي البغل، فذكر أن البغلة من نسلهم، ويرمي الذي أهداها إليه أنه ينال منها وطراً، وكانت الأبيات:

تخيرتهـــا لـــك مـــن نســـلنا وكنـــت لهـــا واليـــاً كافيـــا

فهنيتهـــا راكبـــاً في المـــلا ومتعـــت خلوتهـــا خاليـــا

لعلـــك تـــرزق منهـــا فـــتى يكـــون لنمـــا ســـيداً كاليـــا

فيكســـب أعمامـــه مفخـــراً وأخوالـــه شـــرفاً عاليـــا

حدثنا أبو سوادة الحاسب قال: حدثني عبد الرحمن بن أحمد الكاتب العبرناني قال: كنت أكتب لسليمان بن عبد الله بن يحيى بن معاذ فأتيت يوماً بمرماحوز فبعثت إليه منه شمامة في مكبة مختومة وكتبت معها:

لم تـــر مســـكاً قبلـــه نابتـــاً يـــنفح مـــن فـــرع ومـــن أصـــل

يـــرى لكـــل البيـــت في جنبـــه مذلـــة الهجـــر مـــع الوصـــل

مـــن ذاك وكلـــت بـــه خاتمـــاً يمنعـــه مـــن شمـــة الرســـل

وأهدى علي بن الجهم إلى بعض إخوانه كلباً وكتب معه:

أوصيك خيراً به فإن له عندي يداً لا أزال أحمدها
يدل ضيفي علي في غسق الليل إذا النار نام موقدها

وحدثنا أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب قال: أهدى أحمد بن يوسف الكاتب إلى المأمون، في يوم نوروز، هدية جليلة القدر، وكتب معها:

على العبد حق فهو لا بد فاعله وإن عظم المولى وجلت فضائله
ألم ترنا نهدي إلى الله ماله وإن كان عنه ذا غنى فهو قابله
ولو كان يهدي للمليك لقدره لقصر فضل المال عنه وباذله
ولكننا نهدى إلى من نعزه وإن لم يكن في وسعنا ما يعادله

وقال: وأهدى عبد الرحيم بن أحمد بن يزيد ين الفرج إلى عمه دواة وكتب معها:

لم تر سوداء قبلها ملكت نواظر الخلق والقلوب معا
كأنما الليل حاك رونقها فكان طباً بنسج ما صنعا
لا الطول أزرى بها ولا قصر لكن أتت والبهاء مجتمعا
تريك جنحاً من الظلام لها وبارقاً بائتلافها لمعا

وحدثنا الخباز البلدي قال: أهديت إلى بعض العمال نبيذاً وكتبت معه:

أستاذنا والذي نؤمله للدهر من كل ما يحاذره
هذا نبيذ رايته حسناً مستعذباً يرتضيه خابزه

أحببـــت أن أوثـــر الـــرئيس بـــه   مـــن دون نفســـي ومـــن أعاشـــره

وإن عــــذري في فــــرط قلتــــه   باطنــــــه واضــــــح وظـــــاهره

إذ كـــان هـــذا الـــذي بعثـــت بـــه   أول مـــــا عنـــــدنا وآخـــــره

وأهدى بعض إخواننا إلى صديق له سكينا عليها طائر مذهب، وكتب معها ابياتاً منها:

أوقـد الصـقل مـاء إفرنـدها الجـاري   فجـــاءت كالنـــار ذات اشـــتعال

جـــو نـــور لم تخلـــه بدعـــة الصـــن   عـــة مـــن طـــائر بـــديع المثـــال

عـــام في لؤلـــؤ ولكنـــه قـــد   قـــام فيـــه مـــذهب الســـربال

في ذكر من أهديت إليه هدية فشكر عنها بشعر

حدثنا الصداني قال: أهدى مُحَمَّد بن علي القمى إلى البحتري غلاما فاشتغل به أياما عن حضور مجلسه، فكتب إليه مُحَمَّد:

هجرت كأن الوصل أعقب هجرة وما خلت وصلا قبلها أعقب الهجرا

فأجاب البحتري:

فتى مذحج عفوا فتى مذحج غفرا لمعتذر جاءت إساءته تترى

أتاني قريض منك يحدوه نائل فأنطقني جودا وأفحمني شعرا

وأكسبني شغلا عن الوصل شاغلا تعاتبني فيه وتعتده هجرا

فإن كنت مشغوفا بقربي آنسا بشخصي فلم خولتني ذلك البدرا؟

وما هو إلا درة لم أجد لها سوى جودك الأمسى إذ برزت نحرا

حملت عليه في سبيل فتوة هي الثغر خلف المجد بل تفضل الثغرا

وجدت نداك اليوم ألطف موقعا ود كنت لي خلا فأصبحت لي صهرا

قال وأهدى إليه عبد الله بن السحين بن سعد القطربلي نبيذا أصفر في إناء زجاج أزرق فكتب إليه البحتري شعرا منه هذه الأبيات:

حبذا أنت من منعم بر يفرج الهم أو معظم رفد

طرقتنـــا تلـــك اهديـــة والصـــه باء مـن خـير مـا تبرعـت تهـدي

لبســت زرقــة الزجــاج فجــاءت ذهبـــــا يســـــتنير في لازورد

قال: وأهدى إليه مُحَمَّد بن علي القمي نبيذا مع غلام حسن الوجه، فجمشه البحتري، وكتب معه إلى صاحبه هذه الأبيات:

أبا جعفـــر كـــان تجميشـــنا غلامــك إحــدى الهنــات الدنيــة

بعثـــت إلينـــا بشـــمس المـــدا م تضـــيء لنـــا مـــع شمـــس البريـــة

فليـــت الهديـــة كانـــت رســـولا وليـــت رســـولك كـــان الهديـــة

فوهب له الغلام لما قرأ الأبيات.

وحدثنا البرمكي عن أبي هفان قال: أهدى أحمد بن يوسف الكاتب إلى أبي الزرقاء الشاعر دابة، فكتب إليه أبو الزرقاء:

أيهـــا الســـيد الـــذي شــــــرفته أرومــــــه

قـــد بعثـــت الجـــواد لي فعلـــى مـــن قضـــيمه؟

فوقع على ظهر رقعته: "قضيمه على مهديه ما دام حيا فإن نفق أخلفنا عليك غيره".

قال: واستهدى بعض الشعراء من صديق له يكنى أبا العباس خطرا فلم يسعفه بما طلب، فكتب على معن بن زائدة وهو يتقلد بلاد اليمن يطلب منه ذلك فأنفذ إليه جراب خطر وفيه ألف دينار، وكتب إليه أن اختضب بالخطر، وانتفع بنخالته، فقال:

إذا مـا أبـو العبـاس ضـن بخطـره كتبنـا إلى معـن فأهـدى لنـا خطـرا

وأهــدى دنانــيرا وأهــدى دراهمــا وأهـدى لنـا بـزا وأهـدى لنـا عطـرا

فبلغ البيتان "معنا"، فوجه إليه ألف دينار ثانية وألف درهم وسفط بز وعتيد عطر.

وحدثنا البرمكي عن أبي هفان قال: وعد عبد الصمد بن المعذل خالي مسلمة بن مهزم غلاما يهديه إليه ثم أهدى إليه جارية فكتب إليه:

قـــد لعمـــري يا أبا القـــا ســـم ملحـــت الرســـالة

قلـــت لي: أرســـل ظبيـــا ثم أرســـــلت غزالـــــة

قال: أهدى أبو القاسم التنوخي القاضي ﷺ إلى طيلساناً فكتبت إليه:

قـد أتي الطيلسـان مسـتوعبا شـك ري في حســـن منظـــر ورواء

مـثقلاً عـاتقي وإن كـان في الخـف ة واللطـــف في قيـــاس الهـــواء

تسـرح العـين منـه والقلـب في الآ ل وفي المـــاء والســـنا والبهـــاء

يتلقـــى حـــر الصـــدود يـــبرد ال وصـل والصـيف في طبـاع الشـتاء

يخفـق الـدهر في النسـيم كمـا يفـخ فـــق قلـــب الجبـــان في الهيجـــاء

كـــل جـــزء منـــه يمـــج إلى الأر واح روح المـــنى وبـــرد الوفـــاء

لـــيس فيـــه للنـــار والأرض حـــظ هـــو مـــن جـــوهري هـــواء ومـــاء

زاد في همـــتي ونفســـي وتأمـــي لي علـــــوا وزاد في كبريائـــــي

فكـــأني إذا تبخـــترت فيـــه قـد تطيلسـت نصـف بـدر السـماء

قال: وأهدى الحسن بن وهب على أبي تمام غلاما جميلاً فكتب إليه:

قد جاءنا الرشأ الذي أهديته ... خرقا ولو شئنا لقلنا المركب

لدن البنان له لسان أعجم ... خرس معانيه ووجه معرب

يرنو فيثلم في القلوب بطرفه ... ويعن للنظر الحرون فيصحب

قد صرف الرانون خمرة خده ... وأظنها بالريق منه ستقطب

وأهدى إليه ثياباً، فكتب إليه:

قد كسانا من كسوة الصيف قرم ... مكتس من مكارم ومساع

حلة ذات رونق ورداء ... كسحا القيض أو رداء الشجاع

كالسراب الرقراق بالقفر إلا ... أنه ليس مثله في الخداع

سابري يسترجف الريح متني ... ه بأمر من الهبوب مطاع

رجفانا كأنه الدهر منه ... كبد الصب أو حشا المرتاع

لازماً ما يليه تحسبه جز ... ء من المتنين والأضلاع

يطرد اليوم ذا الهجير ولو شب ... ه في حره بيوم الوداع

خلعة من أغر أروع رحب الصد ... ر رحب الفؤاد رحب الذراع

سوف أكسوك ما يعفى عليها ... من ثناء كالبرد برد الصناع

حسن هاتيك في العيون وهذا ... حسنه في القلوب والأسماع

وأهدى بعض الرؤساء إلى صالح الديلمي ثيابا فكتب إليه صالح:

كسوت من تملكه كسوة ... جاءت إلى ملكك من ملككا

صنيعة أعطى نساجها أنموذج الرقة من وجهكا

فهي من الحسن ترينا الذي يعرفه الزائر من بشركا

طويلة في عرضها فضلة كأنما مرت على صدركا

أظنها من قبل إهدائها مرغها الخازن في خلقكا

فنشرها في وقت نشرى لها أذكى على الأنف من ندكا

وأهدى الحسن بن وهب إلى أبي تمام فرسا رائعا، فكتب إليه أبو تمام شعرا يقول فيه:

نعم متاع الدنيا حباك به أروع لا حيدر ولا جبس

اصفر منها كأنه محة البـ يضة صاف كأنه عجس

هادية جذع من الأراك وما خلف الصلا منه صخرة جلس

يكاد يجري الجادي من ماء عط فيه ويجني من متنه الورس

ضمخ من لونه فجاء كأن قد كسفت في أديمه الشمس

هذب في جنسه فنال المدى بنفسه فهو وحده جنس

أحرز آباؤه الفضيلة مذ تفرست في عروقه الفرس

وهو إذا ما ناجاه فارسه يفهم عنه ما تفهم الإنس

كل ثمين من التلاد له غير ثنائي فإنه بخس

وأهدى إليه فرسا آخر فقال فيه شعرا، منه هذه الأبيات:

ما مقرب يختال في أشطانه ملآن من صلف به وتلهوق

حوافر حفر وصلب صلب   وأشاعر شعر وخلق أخلق

وبشعلة تبدو كأن فلولها   في صهوتيه بدو شيب المفرق

ذو أولق تحت العجاج وإنما   من صحة إفراط ذاك الأولق

تغري العيون به ويفلق شاعر   في نعته عفوا وليس بمفلق

صلتان يبسط إن ردى أو إن عد   في الأرض باعا منه ليس بضيق

مسود شطر مثل ما اسود الدجى   مبيض شطر كابيضاض المهرق

قد سالت الأوضاح سيل قرارة   فيه فمفترق عليه وملتق

صافي الأديم كأنما ألبسته   من سندس بردا ومن استبرق

يرقى وما هو بالسليم ويغتدي   دون السلاح سلاح أروع محلق

في مطلب أو مهرب أو رغبة   أو رهبة أو مركب أو فيلق

أمطاكه "الحسن بن وهب" إنه   داني ندى اليد من رجاء المملق

وحدثنا أحمد بن جعفر البرمكي قال: أهدى سعيد بن حميد الكاتب إلى أبي هفان قارورة من ماء الورد الفارسي فكتب إليه أبو هفان:

بعثتها حالية النحر   بكرا وكل الخير في البكر

ملفوفة في حلل هن من   خضر ومن صفر ومن حمر

تزر في الجيد ولكنها   تجر أذيالا على الخصر

بيضاء في زرقاء كالش   مس إذ تطلعت من زرقة الفجر

كجامد الياقوت أقطاره مملوءة   مملوءة من ذائب الدر

جـــادت لمـــن ركـــب جثمانهـــا   روحهـــــا ســــيدة الزهـــــر
مــا حضــرت والعطــر في مجلــس   وإلا وكانـــــت ربــــة العطـــــر
نابـت عـن الـورد كمـا نبـت عـن   أبيـــك في العـــز وفي القـــدر
فعــــاد ذا منهــــا إلى غصـــــنه   وقـــام ذا عنـــك مـــن القـــبر
إن أنــت حييــت بهــا مســكة   فمثلهـــا الأبيـــات في النشـــر
ولم يضــــيع فارســـي النـــدى   في عـــربي الحمـــد والشـــكر

وحدثنا طاهر بن مُحَمَّد الهاشمي قال: كان أبو بكر الصنوبري صديقاً لوالدي كثير الإلمام به والسلام عليه، وكان والدي محباً له بارا به، وكنت وأنا غلام أميل إليه وأكتب شعره، فأهديت إليه يوما نبيذا ووردا فكتب إلي:

أهــدى إلي فــأي حســن معجــب   أو معـــوز في غـــيره لم يهـــده
الـراح تضـحك عـن عتيـق فرنـدها   والـورد يضـحك عـن حـديث فرنـده
فكـــأن حمـــرة ورده مـــن راحـــه   وكـــأن نكهـــة راحـــه مـــن ورده
وكــأن هــذي تمــترى مــن ريقــه   وكــأن هــذي تجتــنى مــن خــده

وأهديت إليه نعلاً صفراء فكتب إلي:

بخـير الهـدايا جـدت يا خـير منـتم   إلى خـــير باد في الأنام وحاضـــر
بمحـــذوة حـــذو اللســـان شـــبيهة   أوائلهـــا في حســـنها بالأواخـــر
مخالفـــة الـــوجهين قـــام خلافهـــا   مقـام اتفـاق عنـد أهـل البصـائر
فأمـا الـذي مـن فوقهـا وجـه عاشـق   وأمـا الـذي مـن تحتهـا وجـه شـاعر

وحدثنا أبو منصور طلحة بن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال: أهديت إلي علي بن مُحَمَّد المعروف بابن طباطبا العلوي الأصبهاني خاتما فصه عقيق حسن، فكتب إلي:

جاءتــــك إبهــــامي وســــبابتي تشـــكر مـــا أوليتـــه خنصـــري

فالتتـــــا في قلــــم ناطـــــق يفصـــح عـــن شـــكرهما المضـــمر

أعانتـــــا أختهمـــــا بالـــــتي ســـــطرتا لمـــــدح مــــن أســـطر

جـــزاء مـــا أوليتهـــا بالـــذي قـــد زانهـــا مـــن رائـــق الجـــوهر

ألبســـتها فـــص عقيـــق غـــدا يزهـــى علـــى ياقوتهـــا الأحمـــر

قال: وأهدى أبو جعفر مُحَمَّد بن حميد إلى البحتري فرساً، فكتب إليه البحتري يشكره، ويصف الفرس ويستهديه سرجا ولجاما بشعر يقول فيه:

أمـــا الجـــواد فقـــد بلـــونا يومـــه وكفـــى بيـــوم مخـــبرا عـــن عامـــه

جـارى الجيـاد فطـار عـن أوهامهـا ســبقا وكـاد يطـير عـن أوهامـه

جـــذلان تلطمـــه جـــوان غـــرة جـاءت مجـيء البـدر تحـت تمامـه

وأســـود ثم صـــفت لعيـــني ناظـــر جنباتـــه وأضـــاء في إظلامـــه

مالـــت نـــواحي عرفـــه فكأنهـــا عـذبات أثـل مـال تحـت حمامـه

ومقـــدم أذنـــين تحســـب أنـــه بهمـا يـرى الشـخص الـذي لأمامـه

يختـال في استعراضـه ويكـب في اس تـــدباره ويشـــب في اســـتقدامه

وإذا التقـــى الثفـــر القصـــير وراءه فـــالطول حـــظ عنانـــه وحزامـــه

لانــت معاطفــه فخيــل أنــه ... للخيــزران مناســب لعظامــه

في ضـعلة كالشـيب مـر بمفرقـي ... غــز لهــا عــن شــبيه بغرامــه

ومــردد بــين القــوافي يجتــني ... مـا شـاء مـن ألـف القـريض ولامـه

وكــأن صــهلته إذا اســتعلى بهــا ... رعــد يقعقــع في ازدحــام غمامــه

وكــأن فارســه وراء قذالــه ... ردف فلــيس تــراه مــن قدامــه

لا شـيء أجـود منـه غـير فـتىً غـدا ... مــن جــوده الأوفى ومــن إنعامــه

وكــأن كــل عجيبــة موصــولة ... تتقســم اللحظــات في أقســامه

والطــرف أجلــب زائــر لمؤونــة ... مــا لم يــزرك بســرجه ولجامــه

حدثنا الأسباطي قال: أهدى بعض بني طولون إلى المريمي في يوم عيد هدية فيها دنانير جدد من ضرب السنة، فكتب إليه المرمي شعرا طويلا، يقول فيه:

لم تـرض نـيلا جـاء يسـبق موعـدا ... حـتى وصـلت النيـل منـك بموعـد

ورأيـت في بـر اللسـان وإن حـلا ... مــذقا إذا لم تبلــه بــر اليــد

فحبــوتني بعيــون وشــي مونــق ... معـه حبـاء مـن عيـون العسـجد

مـن كـل ذي وجهـين لم يقنـع لـه ... في الحســن صــانعه بوجــه مفــرد

واشــتق مــن لــونين مشــرق لونــه ... مــن أصــفر في أحمــر متوقــد

لا روح فيــه ومــا لــذي روح غــنى ... عنــه ولا صــبر إذا لم يوجــد

مــولى لمكرمــة وعبــد مهيبــة ... وتــرى لــه الأحــرار مثــل الأعبــد

قال: وامتدح عباس الخياط المصيصي علي بن عامر الحلبي، فدفع إليه ديناراً، فقال يشكره:

أبا حسن أصبحت زين الأقارب ... ودينارك البراق زين المواهب

رأته عيون الحاسدين فخلنه ... من الحسن في كفي إحدى الكواكب

ليهنك منه أنك الرجل الذي ... نجوت به من أمهات عقارب

وقال وامتدح أبا عثمان الأموي فدفع إليه دينارا، فقال:

يا عمرو يا مكنى بعثمان ... أصبح دينارك ذا شان

لما أتى في السبت صرنا به ... منك إلى معيار وزان

فلم يطق وزانه وزنه ... حتى وزناه بقبان

وفيه يقول أيضاً:

دينارك الواثقي نحن به ... نجلو عن العين ظلمة الغسق

إنك يا عمرو حين جدت به ... جاء على حاجة إلى الورق

حاولت تحريكه فأعجزني ... ورمت تعييره فلم أطق

حتى حملناه بين أربعة ... خشن إلى الصيرفي بالوهق

قال: وأهدى ابن يزداد إلى أبي القاسم الخبزأرزي البصري ثيابا وطيبا، ودراهم، ودنانير في بعض الأعياد، فقال يشكره، ويذكر الدراهم والدنانير في شعر طويل:

فأعطيتها تحكي أياديك في الورى ... بياضا وإن كانت أياديك أنصعا

زواهـــر أوضـــاحا لهـــا أريحيـــة إذا خـامرت خمـر القلـوب تشعشـعا

ومـن بعـدها قـد نلـت صـفرا توقـدت مـن السـبك حـتى صـرن كـالجمر لمعـا

إذا اختلطـــا كـــانا كنـــور وزهـــره زكـــا بهمـــا غـــرس النجـــار فأينعـــا

كأنهمـــا بـــيض الوجـــوه تـــلألأت صـــفاء بتوريـــد الخـــدود مرصـــعا

وأهدى إليه بعض إخوانه وردا في طن آس وكان ذلك في ابتداء الورد، فكتب إليه:

أبـــدعت في كـــل المكـــارم ســـابقا حـــتى لقـــد أبـــدعت في إهـــدائكا

أتحفتـــني بالـــورد قبـــل أوانـــه في قضـــب آس غضـــة كإخائكـــا

فـالورد عـن نفحـات عرضـك مخـبر والآس يخـــبر عـــن دوام وفائكـــا

فاسـلم ونشـر الـورد حسـن ثنائكـا واعمـر وعهـد الآس طـول بقائكـا

الباب الثالث

في ذكر من استدعى الهدية بشعر

حدثنا علي بن العباس النوبختي قال: قال لي البحتري: رأيت عند أبي جعفر مُحَمَّد بن حميد بن عبد الحميد غلاما أعجبني فعملت إليه شعرا أستهديه منه، وأشكو إليه غلمانا كانوا لي أحرارا، فأنفذه إلي، وسمع شعري جماعة من الرؤساء فأهدوا إلى عدة غلمان، والشعر طويل وأوله:

أبكـــاء في الـــدار بعـــد الـــدار   وســـلوا بزينـــب عـــن نـــوار

يقول فيه:

قـــد مللنـــاك يا غـــلام فغـــاد   بســـلام أو رائـــح أو ســـار

ســـرقات مـــني خصوصـــا فـــإلا   مـــن صـــديق أو صـــاحب أو جـــار

أنا مـــن ياســـر ويســـر وفـــتح   لســـت مـــن عـــامر ولا عمـــار

لا أحـــب الغـــلام يخرجـــه ال   تم إلى الاحتجـــاج بالافتخـــار

وإذا رعتـــه بناحيـــة الســـو   ط علـــى الـــذنب راعـــنى بالفـــرار

هـــل بأرض العـــراق يا قـــوم حـــر   يشـــتريني مـــن خدمـــة الأحـــرار

أو جـواد بأبـيض مـن بـنى الأصـفر   محـــض الجـــدود محـــض النجـــار

لم تـــرم قومـــه الســـرايا ولم   يغـــزهم غـــير جحفـــل جـــرار

أو خمـــــيس كأنمـــــا طرقـــــوا منـــه بليـــل أو صـــبحوا بنهـــار

في زهـــاه "أبـــو ســـعيد" علـــى آ ثار خيـــل قـــد حاجزتـــه بشـــار

يتلظـــى كأنـــه لصـــفوف الســـبى في جانبيـــــــه "ذو الأذعـــــــار"

فحوتـــه الرمـــاح أغيـــد مجـــدو لا قصـــــير الـــــزنار وافى الإزار

فـــوق ضـــعف الصـــغار إن وكـــل الأمـــر غليـــه ودون كيـــد الكبـــار

لـــك مـــن ثغـــره وخديـــه مـــا شـــيء ت مـــــن الأقحـــــوان والجلنـــــار

أعجمــــــي إلا عجالـــــة لفـــــظ عـــــــربي تفـــــــتح النـــــــوار

وكـــأن الـــذكاء يبعـــث منـــه في ظـــلام الخطـــوب شـــعلة نار

يا "أبا جعفـــر" ومـــا أنـــت بالمـــد عـــــو إلا لكـــــل أمـــــر كبـــــار

ولعمـــري للجـــود للنـــاس بالنـــا س ســـــواه بالثـــــوب والـــــدينار

وعزيـــز إلا لـــديك بهـــذا الـــف خ أخـــــذ الغلمـــــان بالأشـــــعار

* * *

وحدثنا الصولي قال: قال لي ابن المعتز: الذي حداني على قول الشعر, ورغبني فيه أني رأيت البحتري يوماً ينشد الماضي -ﷺ- شعرا افتن فيه برقة النسيب, وجودة المديح, ثم خرج من ذلك إلى استهداء خاتم ياقوت فأبدع, وأول الشعر:

بـودي لـو يهـوى العـذول ويعشـق فـيعلم أسـباب الهـوى كيـف تعلـق

والأبيات التي يستهدى بها الخاتم:

فهـل أنـت يابـن الراشـدين مختمـي بياقوتـــة تبهـــي علـــى وتشـــرق!

يغار احمرار الورد من حسن صبغها ويحكيه جادى الرحيق المعتق

إذا برزت للشمس قلت تجارتا على أمد أو كادت الشمس تسبق

إذا التهبت في اللحظ ضاهى ضياؤها جبينك عند الجود إذ يتألق

علامة جود منك عندي مبينة وشاهد عدل لي بنعماك يصدق

ومثلك أهداها وأضعاف مثلها ولا غرو للبحر انبرى يتدفق

* * *

وحدثنا قال: أهدى مُحَمَّد بن على بن عيسى الأشعري القمي إلى البحتري فرسا رائعا, فكتب إليه البحتري شعرا يمدحه, ويذكر الفرس, ويصفه, ويستهديه سيفاً, وأول الشعر:

أهلا بذلكم الخيال المقبل فعل الذي أهواه أم لم يفعل

يقول فيه:

وأغر في الزمن البهيم محجل قد رحت منه على أغر محجل

كالهيكل المبنى إلا أنه في الحسن جاء كصورة في هيكل

وافى الضلوع يشد عقد حزامه يوم الرهان على معم مخول

يهوى كما هوت العقاب وقد رأت صيدا وينتصب انتصاب الأجدل

تتوهم الجوزاء في أرساغه والبدر فوق جبينه المتهلل

متوجس برقيقتين كأنما يريان من ورق عليه موصل

ذنب كما سحب الرداء يذب عن عرف وعرف كالقناع المسبل

جـــذلان يـــنفض عـــذرة في غـــرة يقـقٍ تسـيل حجـو لهـا في جنـدل

صـــافي الأديم كأنمـــا عنيـــت لـــه بصـــفاء نقبتـــه مـــداوس صـــقيل

وكأنمـــا نفضـــت عليـــه صـــبغها صـــبهاء "للـــبردان" أو"قطربـــل"

وتخالـــه كُسِـــيَ الخـــدود نواعمـــا مهمـــا تواصـــلها بلحـــظ تخجـــل

هـــزج الصـــهيل كـــأن في نغماتـــه نـــبرات "معبـــد" في الثقيـــل الأول

ملـــك العيـــون فـــإن بـــدا أعطينـــه نظـــر المحـــب إلى الحبيـــب المقبـــل

نفســـي فـــداؤك يا "مُحَّد" مـــن فـــتى يـوفي علـى ظلـم الخطـوب فتنجلـي

قـــد جـــدت بالطـــرف الجـــواد فثنـــة لأخيـــك مـــن أدد ابيـــك بمنصـــل

يتنـــاول الـــروح البعيـــد منالهـــا عفـــوا ويفـــتح في الفضـــاء المقفـــل

بإنارة في كـــل خطـــب مظلـــم وهدايـــة في كـــل نفـــس مجهـــل

مـــاض وإن لم تمضـــه يـــد فـــارس بطـــل ومصـــقول وإن لم يصـــقل

يغشـى الـوغى فـالترس لـيس بجنـة في حـــده والـــدرع لـــيس بمعقـــل

مصـغ علـى حكـم الـردى فـإذا مضـى لم يلتفـــت وإذا قضـــى لم يعـــدل

متـــألق يـــبرى بأول ضـــربة مـــا أدركـــت ولوانهـــا في "يـــذبل"

وإذا أصـــاب فكـــل شـــيء مقتـــل وإذا أصـــيب فمـــا لـــه مـــن مقتـــل

وكأنمـــا ســـود النمـــال وحمرهـــا دبـــت بأيـــد في قـــراه وأرجـــل

حملـــت حمائلـــه القديمـــة بقلـــة مـــن عهـــد عـــاد غضـــة لم تـــذبل

* * *

واستهدى أيضا من أبي جعفر مُحَمَّد بن عبد الحميد فرسا وبغلا بقصيدة أولها:

لم يبق في تلك الرسوم "بمنعج" إما سألت معرج لمعرج

يقول فيها في المعنى الذي ذكرنا:

أزف الفراق فنحن سفر في غد بالبين من دعوى الترحل ننتجي

وهو المسير إلى الخليج لنية لولا "ابن يوسف" لم نشط فنخلج

فأعن على غزو العدو بمنطو أحشاؤه طي الكتاب المدرج

إما بأشقر ساطع أغشى الوغى منه بمثل الكوكب المتأجج

متسربل شية طلت أعطافه بدم فما تلقاه غير مضرج

أو أدهم صافي السواد كأنه تحت الكمي مظهر بيرندج

ضرم يهيج السوط من شؤبوبه هيج الجنائب من حريق العرفج

خفيت مواقع وطئه فلو أنه يجرى برملة "عالج" لم لم يرهج

أو أشهب يقق يضئ وراءه متن كمتن اللجة المترجرج

تخفى الحجول ولو بلغن لبانه في أبيض متألق كالدملج

أوفي بعرف أسود متغربٍ فيما يليه وحافر فيروزجي

أو أبلق يلقى العيون إذا بدا من كل لون معجب بنموذج

جذلان تحسده الجياد إذا مشى عنقا بأحسن حلة لم تنسج

وأقب نهد للصواهل شطره يوم الفخار وشطره للشحج

لا ديــزج يصــف الرمــاد ولم أجــد (حــالا تحســن مــن رواء الــديزج)

وعــريض أعلــى المــتن لــو عليتــه بالزئبـــق المنهـــال لم يترجــــرح

خاضـــت قوائمــه الوثيــق بناؤهــا أمـــواج تخنيـــب بهـــن مـــدرج

ولأنــت أبعــد في الســماحة همــة مــن أن تضــن بموكــف أو مســرج

* * *

وقد حذا الصنوبري حذو البحتري في هذه المعاني, فقال يستهدي نعلا:

مــــتى تتــــدارك نعلــــى ألا فقــد ذهبــت أو بــدت تــذهب

بســــوداء ذات بريــــق تـــراه كـــالآل مـــن فوقهـــا يلعـــب

وإلا فصـــفراء كالشـــمس حـــي ن يجللهـــا ثوبهـــا المـــذهب

وإلا فبلقـــاء قـــد وشـــحت بـــنقش كمـــا وشــح المشــجب

وإلا فــــــدكناء عرســــــية يشـــاكلها العنـــبر الأشـــهب

وإلا فحمـــراء لـــون الشـــقي ق إن كـــان هـــذا فـــذا أغـــراب

وإلا فصـــهباء مـــا إن يـــزا ل ينافســـها السوســـن الأصـــهب

(ولــو كنــت أعــرف خضــراء قــل ت كالمـــاء دبجــه الطحلـــب)

وممـــا يزينهـــا في العيـــو ن كمـــا زيـــن الفـــرس المركـــب

شـــراك كخطافـــة رنقـــت تهـــم بشـــرب ومـــا تشـــرب

وإلا كحمـــــــرة رفرفـــــــت فـــلا هـــي تنـــأى ولا تقـــرب

كـــأن عيـــون الـــدبى خرزهـــا إذا مـــا بـــدا للـــدبى موكـــب

لـــه شمســـة ســـال كيمختهـــا كمـا انقــض مــن حــالق كوكــب

هـــي البكـــر يخطبهـــا كفؤهـــا كــذا البكــر أحســن مــا يخطــب

أبوهــــــا يمــــــان ولكنهــــــا إلى الســـند في زيهـــا تنســـب

مخذفـــة الوســـط شـــابورة حكتهـــا بآذانهـــا الربـــرب

وفي وســـطها طـــرة قصـــها علــى طــرة العــود بــل أعجــب

إذا أقبلـــت أدبـــرت حيـــة وإن أدبـــرت أقبلـــت عقـــرب

وذا النعـــت يعـــزب إلا علـــي ك فأمـــا عليـــك فمـــا يعـــزب

* * *

وعلى البحتري أيضا ومعانيه في القصيدة التي قدمنا عول المريمي, وقد استهدى تكة من ابن (عبد كان) كاتب أحمد بن طولون بقوله:

ياســـــيدي ومـــــؤملي إن خفــت مــن عنــت الليــالي

أشـــكو إليـــك مصـــيبتي في تكـــة كانـــت جمـــالي

لعـــب البلـــى بجديـــدها فكأنهـــا دمـــن بـــوالي

ولـــديك منهـــا عـــدة نخـــب مـــن التكـــك الغـــوالي

فابعـــث بإحـــداهن لي حمـــراء مثـــل دم الغـــزال

أو جــد بهــا صــفراء مــث ل الشـــمس في وقـــت الـــزوال

أو لا, فبيضـــاء القـــم يـــص كأنهـــا رقـــراق آل

ومـــتى بعثـــت بهـــا مـــور دة لعبـــدك لا يبـــالي

والخضــــــر لـــــــون أشـــــتهي هـــــ وأرتضــــيه بكــــل حــــال

ولــــــئن أتـــــــت خمريـــــــة فقـــد اعتقـــدت بهـــا وصـــالي

أو فلـــــتكن زرقـــــاء تــــش بــــه زرقــــة المـــاء الــــزلال

وتجنـــــب الســــــوداء فـــــه ى تعـــد في الســـقط الـــرذال

والعـــــــيش في منقوشـــــــة كـــــأكف ربات الحجـــــــال

هبهـــا وخـــذ حظـــي بهـــا ألا تحـــــل علـــــى حـــــلال

قال: فأهدى إليه من كل لون ذكره عشر تكك.

* * *

واستهدى البحتري من إبراهيم بن المدبر الكاتب غلاما روميا اسمه "ميخائيل" بشعر يقول فيه:

وقد زعموا أن ليس يغتصب الفتى علـى عزمـه إلا الهديـة والسـحر

فـإن كنـت يومـا لا محالـة مهـديا ففي المهرجان الوقت إذ فاتنا الفطر

وإن تهـد "ميخائيـل" ترسـل بتحفـة تقضـى بهـا العتبى ويغتفـر الـوزر

عزيــز تراءتـــه العيـــون كأنمـــا أضـــاءلها في عقـــب داجيـــة فجـــر

ولـو يبتـدى في بضـع عشـرة ليلـة مـن الشـهر مـا شـك امرؤ أنـه البـدر

إذا انصـرفت يومـا بعطفيـه لفتـة أو اعترضـت مـن لحظـه نظـرة شـذر

رأيـت هـوى قلـب بطيئـا نزوعـه وحاجـة نفـس لـيس عـن مثلهـا صـبر

ومثلـك أعطـى مثلـه لم يضـق بـه ذراعـا ولم يحـرج لـه أوبـه صـدر

تجــاف لنــا عنــه فإنــك واجــد	بــه ثمنــا يغليــه في مــدحك الشــعر

* * *

واستهدى أبو تمام من مُحَمَّد بن مالك بن طوق فرسا بشعر يقول فيه:

قالـــــــــــــــــــــــــــــت وعـــــــى النســـــــاء كـــــــالخرس

وقد يصبن الفصوص في الخلس:

هـــل يـــرجعن غـــير خائـــب فرســـا	ذو ســـــبب في ربيعـــــة الفـــــرس

كـــــأنني قـــــد زرت ســـــاحتها	بمســـــمح في قيـــــاده ســـــلس

أحمـــر منهـــا مثـــل الســـبيكة أو	أحـــوى بـــه كـــاللمى أو اللعـــس

أو أدهـــم فيـــه كمتـــة أمـــم	كأنـــه قطعـــة مـــن الغلـــس

فهـــو لـــدى الـــروع والجلائـــب ذو	أعلـــى منـــدى وأســـفل يـــبس

يكثـــــر أن يســـــتحم في الحـــــر	والقـــر حميمـــا يزيـــد في الـــنجس

* * *

واستهدى أيضا من بعض آل المهلب بن أبي صفرة فروا بشعر يقول فيه:

دنا ســفر والــدار تنــأى وتصــقب	وينســى ســراه مــن يعــافي ويصــحب

وأيامنــا خــزر العيــون عــوابس	إذا لم يخضـــها الحـــازم المتلبـــب

ولا بــد مــن فــرو إذا اجتابــه امــرؤ	بــدا وهــو شــات في الصــنابر أغلــب

يســـرك بأســـا وهـــو غـــر مغمـــر	ويعتـــد لـــلأيام حـــين يجـــرب

تظـــل الـــبلاد ترتمـــى بضـــريبها وتشـــمل مـــن أقطارهـــا وهـــو يجنـــب

إذا البـــدن المقـــرور ألبســـه غـــدا لـــه راشـــح مـــن تحتـــه متصـــبب

إذا اعتـــد ذنبـــا ثقلـــه منكـــب امـــرئ يقـــول الحشـــا إحســـانه حـــين يـــذنب

يـــراه الشـــفيف المـــرثعن فينثـــنى حســـيرا وتغشـــاه الصـــبا فتنكـــب

إذا مـــا أســـاءت بالثيـــاب فقولهـــا لـــه كلمـــا لاقتـــه أهـــل ومرحـــب

إذا اليوم أمسى وهو غضبان لم يكن طويـل مبـالاة بـه حـين حـين يغضـب

كـــأن حواشـــيه العلـــى وخصـــوره ومـــا انحـــط منـــه جمـــرة تتلهـــب

فهـــل أنـــت مهديـــه بمثـــل شـــكيره مـن الشـكر يعلـو مصـعدا ويصـوب

فأنـــت العلـــيم الطـــب أي وصـــية بمـا كـان أوصـى في الثيـاب "المهلـب"

يريد بهذا البيت ما يروى أن المهلب بن أبي صفرة قال يوما لبنيه, وقد اجتمعوا عنده في أجمل اللباس, وأحسن الزي: "إن أحسن ما كانت ثيابكم غذ رآها الناس على غيركم".

* * *

وحدثنا على بن العباس النوبختي قال: استهدى على بن العباس الرومي من أبي العباس بن بشر المرثدي لوزينجا عن مولود رزقه بشعر طويل أوله:

لا يخطئـــــني منـــــك لـــــوزينج إذا بـــــدا أعجـــــب أو عجبـــــا

لم تغلـــــق الشـــــهوة أبوابهـــــا إلا أبـــــت زلفـــــاه أن يحجبـــــا

لـــو شـــاء أن يـــذهب في صـــخرة لســـــخر الطيـــــب لـــــه مـــــذهبا

يـــدور بالنفخـــة في جامـــه — دورا تـــرى الـــدهن لـــه لولبـــا

عـــاون فيـــه منظـــر مخـــبرا — مستحســـن ســـاعد مســـتعذبا

مســـتكثف الخبـــز ولكنـــه — ارق جلـــدا مـــن نســـيم الصـــبا

كأنمـــا قـــدت جلابيبـــه — مـــن أعـــين القطـــر إذا قببـــا

يخـــال مـــن رقـــة خرشـــائه — شـــارك في الأجنحـــة الجنـــدبا

لـــو أنـــه صـــور مـــن خـــبره — أن يجعـــل لكـــان الواضـــح الأشـــنبا

مـــن كـــل بيضـــاء يحـــب الفـــتى — أن يجعـــل الكـــف لـــه مركبـــا

ذيـــق لـــه اللـــوز فـــلا مـــرة — مـــرت علـــى الـــذائق إلا أبى

وانتقـــد الســـكر نقـــاده — وشـــاوروا في نقـــده المـــذهبا

فـــلا إذا العـــين رأتـــه نبـــت — ولا إذا الضـــرس عـــلاه نبـــا

* * *

قال: واستهدى من بعض إخوانه بخوانه بخورا بشعر أوله:

أبا علـــى طلبـــت عيبـــك مـــا — اســـطعت فألفيـــت عيبـــك الســـرفا

يا أحسن الوجه والشمائل والأخلاق — والخلـــق حيـــث مـــا انصـــرفا

عنـــدي عليـــل أرد منتـــه — بطيـــب الطيـــب كلمـــا ضـــعفا

فابعـــث بشـــيء مـــن البخـــور لـــه — كـــبعض معروفـــك الـــذي ســـلفا

ولتـــك أنفاســـه تشـــاكل ذك — راك وحســـبي بطيبهـــا وكفـــى

مـــن نـــدك الفاضـــل المفضـــل في — النـــد علـــى غـــيره إذا وصـــفا

ذاك الــذي لــو غــدا يفــاخره نسـيم نـور الـرياض مـا انتصـفا

ولا يكـــن دخنـــة المعـــزم للعفريـت مـن شـم ريحهـا رعفـا

لا تـــدخلن الجفـــاء في لطـــف فربمـــا ألطـــف امـــرؤ فجفـــا

أطـــب وأقلـــل فـــإن أطبـــت وأكثـرت نصـيبي فيـا لـه شـرفا

* * *

واستهدى من أبي عبد الله مُحَمَّد بن سليمان بن فهد غروسا من الزهر لبستان بشعر يقول فيه:

قــد تعـرى بسـتاننا فـاكس عـار يــه بنــور يكســوه حلــة نــور

نحـــن في كأبـــة بـــه فاجلـــب الله وغلينـــا بجالبـــات الســـرور

بغصـــون إذا تمـــايلن في الـــري ح عطفـن القـدود عطـف الخصـور

مـا تبـدت إلا حكـت ظفـر العـا شـق في غفلـة الرقيـب الغيـور

وعرفنـا في عرفهـا طيـب أنفـا سـك ذات الـذكاء والتعطـير

فهـي تهـدي إلى النفـوس مـع الأن فـاس مسـكا فتقتـه بعبـير

مـن نسـيم تظـل تحملـه الـري ح غلينـا باكـورة في الحجـور

الخلـوقى كـالخلوق وكـافور ريهـا في الـذكاء كالكـافور

مثـل رقـم الحريـر أصـفر في أح مـر مـن فـوق أخضـر كـالحرير

طـاب في ظلهـا مراضـعة الخـم ر وتنفـيس وعكـة المخمـور

قـد بعثـت المنظـوم نحـوكم مـد حـا فجـودوا علـى بالمنثـور

وأهدى بعض إخوان أبي على البصير غليه مرفقة قرمز من مرفقتين أهديتا إليه, فقال أبو على يستهدى الأخرى:

مرفقـــــة أعطيهـــــا فـــــردة	رمـــت لهـــا أختـــا فلـــم يتفـــق
يقـــول مـــن أبصـــرها عنـــدنا	موضـــوعة: مـــا هـــي إلا ســـرق
قالـت ... وقـد صـدرت بيـتي بها	مقـــال موتـــور مغـــيظ حنـــق
واســـتنكرت مـــا هـــو مســـتنكر	مـــن ضـــيعة القرمـــز بـــين الخـــرق
وذكـــرت أختـــا لهـــا عنـــدكم	كانـــت وإياهـــا معـــا في نســـق:
تعســـا لمـــن فـــرق مـــا بيننـــا	ولم يكـــن في الحـــق أن نفـــترق

فوجه إليه بالمرفقة الأخرى.

وحدثنا الأسباطي قال: استهدى المريمي من أبي الجيش خمارويه ابن أحمد بن طولون خمية بقصيدة طويلة يقول فيها:

وقـــد عرضـــت إليـــك حويجـــة لي	مصـــــغرة وموقعهـــــا جليـــــل
مقـــدرة مـــن الخـــيم اللـــواتي	بهـــا لطـــف ولـــيس بهـــا خمـــول
حواليهـــا الســـيول ولا عليهـــا	إذا أفضـــت علـــى الخـــيم الســـيول
ثنـــاء يســـتهيل القطـــر فيـــه	ولا يعفـــو كمـــا تعفـــو الطلـــول
إذا حلـــت مـــن الأطنـــاب خـــرب	كمـــا خـــر النزيـــف أو القتيـــل

* * *

قال أبو بكر المراغي الوراق: حدثنا اللبادي الشاعر أنه خرج من بعض

مدن أذربيجان يريد أخرى وتحته مهر له رائع, وكانت السنة مجدبة, فضمه الطريق وغلاما حدثا على حمار له, قال: فحادثته فرأيته أديبا, راوية للشعر, خفيف الروح, حاضر الجواب, جيد الحجة, فسرنا بقية يومنا, وأمسينا أن يكون عنده شيء, فرفقت به على أن جاءني برغيفين, فأخذت واحدا, ودفعت إلى ذلك الغلام الآخر. وكان غمي على المهر أن يبيت بغير علف أعظم من غمي على نفسي. فسألت صاحب الخان عن الشعير فقال: ما أقدر منه على حبة واحدة. فقلت: فاطلب. وجعلت له جعيلة على ذلك. فمضى وجاءني بعد طويل, فقال: قد وجدت مكوكين عند رجل حلف بالطلاق أنه لا نقصهما من مائة درهم. فقلت: ما بعد الطلاق كلام. ودفعت إليه خمسين درهما, فجاءني بمكوك, فعلقته على دابتي. وجعلت أحادث الفتى, وحماره واقف بغير علف, فأطرق مليا, ثم قال: أتسمع –أيدك الله– أبياتا حضرت الساعة؟ قلت: هاتها, فأنشدني:

يا سـيدي شـعري نفايـة شـعركا	فلـذاك نظمـى لا يقـوم بنثركـا
وقـد انبسـطت إليـك في إنشـادما	هـو بالحقيقـة قطـرة مـن بحركـا
آنسـتني وسـررتني وبـررتني	وجعلـت أمـري مـن مقـدم أمركـا
وأريـد أذكـر حاجـة إن تقضـها	أك عبـد مـدحك ما حييت وشـكركا
أنا في ضـيافتك العشـية هاهنـا	فاجعـل حمـاري في ضـيافة مهركـا

فضحكت, واعتذرت غليه من إغفالي أمر حماره, وابتعت المكوك الآخر بخمسين درهما, ودفعته إليه.

* * *

حدثنا الصولي عن أبي العيناء قال: كتب الحسين بن الضحاك إلى أحمد يوسف الكاتب, ليلة الميلاد, يستهديه شمعا:

سجاياك في طيب أعراقها ... تباهى النجوم بإشراقها

وما للعفاة غياث سوا ... ك كانك ضامن أرزاقها

وليلة ميلاد عيسى المس ... يح قد طالبتني بميثاقها

فهذى قدوري على نارها ... وفاكهتي ملء أطباقها

وبنت الدنان فقد أبرزت ... من الخدر تجلى لعشاقها

وقد قامت السوق بالمسمعا ... ت وبالمطربات على ساقها

فكن مهديا لي فدتك النفو ... س فجودك ممسك أرماقها

نظائر صفرا غدت فتنة ... بلطفة أنامل حذاقها

ومثل الأفاعي إذا ألهبت ... وللروم زرقة أحداقها

ولم أر من قبلها أنفسا ... تذيب الجسوم بإحراقها

وإن مرضت لم يكن برؤها ... بشيء سوى ضرب أعناقها



الباب الرابع

في ذكر من استهدى هدية بغير شعر

حدثنا الأصبهاني قال: كتب رجل إلى مُحَّد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة، وكان كريما سخيا، يلقب "الفتى العسكر" يستهديه جارية رقعة فيها" "حفظك الله وحفظ النعمة عليك، إن بين كل أمر يطالبه الرجل وبين المطلوب إليه ذريعة يتوسل بها إلى معروفه، ولي بارتجائك درجة توجب قضى الحقوق. وحاجتي –أبقاك الله – ظريفة من الجواري لم تتداولها أيدي التجار، ولم تمتهنها خدمة الموالى؛ ولى فيها شريطة أعرضها عليك، وأذكرها لك، لترى رأيك فيها.

وهي أنه كان يقال: إذا اتخذت جارية فاستجد شعرها؛ فإن الشعر أحد الوجهين؛ وتكون رائعة البياض تامة القوام، فإنه يقال: إن البياض والطول نصف الحسن. وأنا أقول: إنه الحسن كله، وتكون مليحة المضحك فإنه أول ما تسجلب به المرأة المودة وتعتقد الحظوة، وتكون جيداء العنق، غيداء الليث، كحلاء العين، لها طرف أدعج وحاجب أزج، موردة الخدين سهلتهما، واضحة الجبين، قنواء الأنف، حماء الشفتين، مفلجة الثنايا، نقية الثغر، مشرفة النحر؛ ولست أكره الانكسار في الثديين لأنه ليس للنهود عندي إلا لذة المنظر، وهي أيضا تحول بين المعانق وبين إرادته وليست من قول الشاعر:

حال الوشاح على قضيب زانه ... رمان صدر ليس يقطف ناهد وأكره العجيزة الضخمة، ولا أحب الرسحاء بل أريدها وسطا، لأن "خير الأمور أوسطها". وتكون سبطة البنان فتلاء الساعد، ممتلئة الذراع، فخمة العضد، قباء البطن، نحيفة الخصر، يطويها الضجيع طي الحمالة؛ عبلة الفخذين، بردية الساقين، لطيفة القدمين.

ولولا إفراط الغيرة لذكرت ما أحبه مما هو مستور إلا عند الحاجة إليه. وأريدها رخيمة الصوت، شهية النغمة، عذبة الألفاظ، بها غنة الحداثة، وبحة الاحتلام؛ أشجى حلقا من الغريض. وأنغم كلاما في الآذان من نغم "مخارق"، وأثبت حجة من "أبي الهذيل العلاف"، وأبين معنى من "النظام"، ظريفة المجون، حسنة الوقار إن أردتها دنت وإن كرهتها نأت، أطوع من الرداء وأذل من الحذاء.

وقدرك – أيدك الله– يحتمل اقتراحي عليك، وشكري لك يستوجب ما سألته منك، وأنا بالإسعاف جدير، وأنت بالإفضال قمين؛ والسلام. فأجابه مُحَمَّد بن منصور: "سألت أعزك الله عن هذه الصفة وطلبت هذا النعت فأعيتني في الدنيا، وما أراني أجدها في الآخرة وقد بعثت إليك ألف دينار لتلتمسها أنت، وتسأل إخوانك معاونتك على ذلك، فمتى وجدتها أو وجدها لك أحد دفعت الدنانير إليه عربون الدلالة وعرفتني مقدار الثمن حتى أنفذه إليك".

قال: وكتب بعض أصحاب معن بن زائدة، وهو ببرذعة، متقلدا لها رقعة فيها: " إن رأى الأمير أن يأمر بحملاني، فإني بغير مركوب فعل إن شاء الله".

فوقع معن على رقعته: "يدفع إليه حجر ومهر، وبغلة وبغل، وحمارة وعير، وناقة ونجيب، وبقرة وثور، وسفينة وقارب، وجارية وغلام، وخف ونقل. وما أعلم أنه أبقى شيء مما يركب إلا فيل وزندبيل؛ وأرجو أن أملكها وأحملك عليهما إن شاء الله".

وحدثنا جحظة قال: كان جعفر بن عبد الواحد الهاشمي بخيلا موسرا، وكان ينزل سر من رأى وكان يستهدى في أيام الرطب من صديق له رطبا، فكان يوجه إليه في كل يوم سلة رطب، فكأنه ربما جاءته متشعثة، فيتهم الغلام أنه يأكل منها.

فلما طال ذلك عليه قال للذي كان يهديها إليه: إن أردت تمام العارفة عندي، وأحببت أن تهنئني بما تهديه إلي فاختمها فقد اتهمت الغلام؛ فكان يختمها ويوجهها إليه، فساء ظنه أيضا بالغلام، فقال: إن أردت سروري وإزالة الفكر عن قلبي فصير ختمك إياها زنبورين حتى لا يتهيأ للغلام فيها ما يريد، ففعل ذلك. فكان إذا فتحها وطار الزنبوران منها علم حينئذ أنها ما فتحت، ولا أخذ الغلام منها شيئا.

الباب الخامس

في ذكر شيء من أخبار الهدايا

حدثنا الصولي عن يزيد بن مُحَمَّد المهلبي قال: أهدى أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي إلى المأمون في يوم مهرجان مائة حمل زعفران في شبك إبريسم على مائة أتان شهب وحشية مربية.

فجاءت الهدية والمأمون عند الحرم فقيل له: قد وجه القاسم بن عيسى مائة حمل زعفران (على مائة حمار) فأحب المأمون أن ينظر إليها على حالها، وكره أن يكون من الحمير شيء لا يصلح للنساء، فسأل سؤال مستثبت عن الحمر أهي أتن أم ذكور؟ فقيل له: بل هي أتن وحشية مربية، وليس فيها ذكر، فسر بذلك وقال: قد علمت أن الرجل أعقل من أن يوجه بها على غير أتن.

وشبيه بهذا الخبر ما حدثناه جحظة قال: حدثني علي بن يحيى المنجم أن المتوكل كان يميل إلى جاريته "شجن" ميلا تماما، ويفضلها على سائر حظاياه، ويصفها لهن. فعاتبته على تفضيله إياها، وميله إليها وأثرته لها عليهن، فأقبل يصفها ويذكر أحوالها وتمام ظرفها وكمال مروءتها ثم قال: وهذا المهرجان قد قرب وقته، ولابد لكن من أن تهدين إلي فيه هدايا، وتهدى هي أيضا وننظر إلى هديتها وهداياكن، فتعلمن أن هديتها أطرف من هداياكن جميعا. فلما كان في يوم المهرجان أهدين هدايا نفيسة، واحتفلن في ذلك؛ وجاءت

هدية "شجن" وهي عشرون غزالا مربية بعشرين سرجا صينيا، على كل غزال خرج صغير من ذهب مشبك فيه المسك والعنبر وأنواع الطيب المرتفعة؛ مع كل غزال وصيفة بمنطقة من ذهب في رأسه جوهرة ياقوت أو زمرد أو غيرها من الجواهر الجليلة القدر، فقال المتوكل لحظاياه واستلمح ذلك؛ من كان يحسن منكن مثل هذا قال جحظة: فحدثني علي بن يحيى أنهن عملن في قتلها بشيء سقينها إياه فماتت.

وحثنا مُحَمَّد بن يحيى قال: حدثني يزيد بن مُحَمَّد قال: كان موسى بن عيسى بن يزدانير من وجوه الكتاب وسرواتهم، وكان يكتب للفضل بن الربيع، فاتصل بالفضل أنه يهوى "عريب" المغنية، فقال له يوما: يا موسى بلغني أنك تهوى عريب هوى لا يهنيك معه مطعم ولا مشرب، وما نملكه فبين يديك، فإن كان لما بلغني حقيقة فعرفنيه حتى أبتاعها لك بما بلغت، ولو أتى ذلك على جميع ما أملك. واعلم أن هذه الحال ليست بناقصتك عندي، واحذر أن تكتمني فيتأدى إلي الخبر بصحة ما بلغني فأتنكر لك. فأنكر موسى ذلك، ودفعه، وحلف على بطلانه.

فلما كان بعد ذلك بأيام تغدى الفضل، فقدم إليه في آخر الطعام لباء ظباء مع تمر من التمر السابري في طبق غضار صيني زمردي؛ فاستحسن الفضل ذلك. وكان يعرف كاتبه بالظرف، فقال: هذه هدية ظريفة تصلح لكاتبنا موسى. فدعا بطبق ومكبة، ووجه بذلك إلى موسى، فلما وضع بين يديه استحسنه وقال: لا أهدى إلى عريب شيئا أملح من هذا فوجه بالهدية على حالها (إليها) فلما نظرت إليها استطرفتها وقالت: لا أتحف الأمير– يعني الفضل – بأحسن من هذه الزلة فبعثت بها إليه، فدخلت داره كما

خرجت منها لم تغير، فأمر بها، فعزلت.

وحضر موسى بالعشي على رسمه فقال له الفضل: كيف رأيت تلك الهدية يا موسى؟ قال: حسنة، والله يا سيدي! قال: فأكلت منها؟ قال: نعم وأطعمت من في منزلي تشرفا. فقال له الفضل: يا فاسق أما زعمت أنك لا تحب عريب، هذه هديتنا إليك قد أتحفتنا بها عريب أما أنك لو كنت صدقتني عن مكانها من قلبك عند عرضي عليك ما عرضت من أمرها كنت قد ابتعتها لك بما بلغت، فأما الآن فلا.

فقال موسى: ظلمتني يا سيدي إني لو أعلمتك أنى أهواها لوجب أن أسقط من عينك وتقل منزلتي عندك إذا أظهرت حبها، ولم أصبر على كتمانه؛ فقال الفضل: دع هذا عنك فقد خجلت، يا غلام أزل خجلة بعشرة آلاف دينار ينفقها على عريب؛ فدفعت إليه.

وحدثنا أيضا قال: تقدم الواثق إلى إيتاخ – وكان على خزن الكسوة – أن يتخذ له حلتي وشي على صورة، ودفعتها إليه، وأمره بتعجيل ذلك في يوم ذكره له. فتقدم إيتاخ إلى كاتبه سليمان بن وهب فجد في اتخاذها حتى فرغ منهما وأتى بهما إلى الواثق، فرضيهما وأمر بقطعها له دراعة وقميصاً.

وعرض لسليمان شغل فسأل أخاه الحسن بن وهب النيابة عنه في ملازمة الخياطين وحثهم حتى يفرغوا. وكان الحسن يهوى "بنان" جارية مُحَمَّد بن حماد كاتب راشد المعرى، فلما خلا بالثوبين قطع أحدهما قميصا لبنان؛ واستحث الخياطين في أمره حتى فرغوا منه، وأخذه وانصرف إلى منزله، وأحضر "بنان" فخلعه عليها، وجلس يشرب معها. واتصل الخبر بأخيه

سليمان، فقامت القيامة عليه، وأيقن بالقتل، وأحضر الوشائين فطلب شكلا للثوب فلم يجده، فابتاع حلة دونه بستة آلاف دينار، وصدق إيتاخ الخبر. وألح الواثق في طلب القميص والدراعة وإيتاخ يدافعه إلى أن فرغ الخياطون من ذلك، فأحضرهما إياه؛ فلما لبسهما أنكر الحلة المبتاعة فسأل إيتاخ عن السبب، واستحلفه بحياته أن يصدقه فصدقه عن الخبر، فضحك حتى استلقى على فراشه.

وأنفذ خدما لإحضار الحسن و"بنان" على الصورة التي هما عليها، فأحضرا فيوقته، فلما رآهما والقميص على بنان قال للحسن: ويحك؛ تأخذ ثوبا قد اخترته لنفسي فتقطعه للتي تحب عن غير أمري. قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: ولم؟ قال: لأنك الخليفة والدنيا كلها ملك يدك، وجميع أهلها رعيتك ولا يبعد عليك ما تطلب وأنا لا أقدر على مثله أبدا إلا أن تقطع حلة أخرى، ويستوى لي أن أتقلد أمرها فأسرقها.

فضحك الواثق أكثر من ضحكه الأول وأمر له بمائة ألف درهم، ول"بنان" بثلاثين ألف درهم وصرفها.

وكان في ناحية الحسان شاعر قد جفاه واطرحه، فقال في ذلك:

أهـــــدى إليهـــــا قميصـــــاً	ســـــــلها فيـــــــه غـــــــيره
ففـــــي الســـــعادة حرهـــــا	وفي الشـــــــقاوة تـــــــره

وحدثنا جحظة في كتابة الملقب "بكتاب المشاهدة" قال: كان الحسن بن مخلد شحيحا على الطعام، سمحا بالأموال الجليلة القدر، فسمعت علي بن يحيى المنجم يقول: كان الحسن بن مخلط يعمل لجاريته "لاثم" في كل يوم

من مائدته وسطا ويهديه إليها، فتظهر السرور بذلك فأغفله يوما فعاتبته على ذلك، فعمل لها وسطا من ذهب في جوفه جوهرة بعشرة آلاف دينار فأهداه إليها.

قال: وكانت تسمى الوسط الذي يهديه إليها من المائدة في كل يوم "ما هناني". فقالت له عند إهدائه الوسط من الذهب: ليس هذا يا سيدي "ما هناني"؛ هذا ما أغناني.

حدثنا أحمد بن أبي خال قال: خرج الفيض بن أبي صالح، وأحمد بن الجنيد وجماعة من وجوه الكتاب من دار المأمون منصرفين إلى منازلهم، وكان يوما مطيرا، فتقدم الفيض بن أبي صالح، وتلاه أحمد ابن الجنيد فنضح دابة الفيض على ثياب أحمد بن الجنيد برجله من ماء المطر فتأفف أحمد وقال (للفيض) هذه والله مسايرة بغيضة، وما أدرى أي حق أوجب لك التقدم علينا؟ فأمسك الفيض حتى صار إلى منزله، ثم دعا وكيله، فأمره بإحضار مائة تخت في كل قميص وسراويل ومبطنة وطيلسان ففعل ذلك. فقال له: احمل هذه التخوت على مائة حمال، وصر بها إلى أحمد بن الجنيد، وقل له: أوجب لنا التقدم عليك أن لنا مثل هذا نهديه إليك إذا أفسدنا ثيابك فإن أهديت لنا مثله إذا تقدمت علينا وأفسدت دابتك ثيابنا قدمناك. حدثنا الصولي قال: اختصم رجلان إلى قاض قد قدم أحدهما إليه هدية، فأراد القاضي أن يقضي عليه بحق وجب، فدنا منه فقال مسرا إليه: قد أهديت إلى القاضي شبابيط دجلية، وفراريج كسكرية، وحنطة بلدية، وجبنة دينورية، وشهدة رومية، فقال القاضي: قم! وصاح: ما هذا مما تسارني به، إذا كانت لك بينة بالري انتظرناها وأخرنا الحكم وأجلناك. فقال: الغريم:

إذا مـــا صـــب في القنـــديل زيـــت ‏ ‏ تحولـــت الحكومـــة للمقنـــدل

وعنـــد قضـــاتنا حكـــم وعلـــم ‏ ‏ وبـــذر حـــين ترشـــوهم بســـنبل

وحدثنا جحظة عن حماد بن اسحق الموصلي عن أبيه قال: طهرت بعض ولدي فكتب إلى إبراهيم بن المهدي: "لولا أن البضاعة قصرت عن بلوغ الهمة لتقدمت السابقين إلى برك، وشأوت المتقدمين إلى إكرامك، وكرهت أن تطوى صحيفة البر وليس لي فيها ذكر فوجهت إليك المبتدأ بنفعه والمختوم ببركته وطيبه: جراب ملح وجراب أشنان" ثم جائتني هداياه بما تقصر الألسن عن نعته.

الباب السادس

في ذكر من ذم ما أهدي إليه نظما أو نثرا

حدثنا الرجائي قال: حدثني صديق لي طريف أديب أنه وصف لجحظة ممقوراً كان عنده فاستهدى منه شيئا؛ قال: فوجهته كله إليه، فكتب إلي:

يا بن روحي فدتك روحي من الأس	واء إني بـــك الغـــداة عميـــد
قــد أتانا الممقــور لازلــت كــالمم	قـــور في خلـــه وفي الخـــل دود
عملتـــه العجـــوز حـــتى إذا مـــا	جـاد جـادت بـه علـى مـن تريـد
زوجـــه طـــالق وبنـــت شـــرود	وأمـــور منهـــا يشـــيب الوليـــد

قال: فلقيته وكنت له كالخادم، فقلت: من أنا ويحك حتى تهجوني؟ وأي شيء ذنبي إليك؟ فقال: سألتك ممقورا فوجهت إلي برفائد الفصد.

وحدثنا علي بن اسحق الكاتب قال: أهدى ابن اليتيم الكاتب إلى البسامي دن شراب فلم يرضه وكتب إليه:

أقبــل الــدن مــن بعيــد فــأيقن	ابخفـــض ولـــذة وســـرور
ففتحنـــاه مســـرعين فـــألقي	ناه خـــلا يعـــد للممقـــور

قال: وأهدى إليه بعض إخوانه أقداحا وصفها له قبل إهدائها، وذكر أنها مخروطة في نهاية الحسن؛ فلما رآها لم تقع منه موقعا، فردها وكتب معها:

قــد دعتــني إلى التنســك أقــدا حــك بعــد المجــون والإفــراط

هــي مخروطــة زعمــت ولكــن ســقطت طاؤهــا مــن الخــراط

قال: وأهدى إليه صديق له قمريا غير فصيح، فكتب إليه:

تعرضــت مــني للهجــاء ولم يكــن سوى الشكر والإحماد في كل مجلس

ومــا النــاس إلا مــن تكامــل فــيهم سماحــة أخــلاق وعفــة أنفــس

فشــأنك بالقمــرى يا أهــل مثلــه علــى صــوته فــأطرب وإياه فــاحبس

ولكــن مــن حــق العجــوز وبرهــا بعثــت إلى غضــب اللســان بأخــرس

قال: وزار عبد الله –الذي كان أبو تمام يهواه – أبا تمام يوما ولم يكن عنده نبيذ، فأنفذ غلاما له إلى بعض إخوانه، يستهديه نبيذا بهذه الأبيات:

جعلــت فــداك "عبــد الله" عنــدي بعقــب الهجــر منــه والبعــاد

لــه لُمــةٌ مــن الكتــاب بــيض قضــوا حــق الــزيارة والــوداد

واحســب يــومهم أن لم تجــدهم مصــادف دعــوة مــنهم جمــاد

فكــم بــر مــن الصــهباء ســار وآخــر منــك بالمعــروف غــاد

فهــذا يســتهل علــى ضــميمي وهــذا يســتهل علــى تــلادي

دعــوتهم عليــك وكنــت ممــن يناديــه إلى النــوب الشــداد

فحبس غلامه وقتا طويلا ثم أنفذ نبيذا ردئيا فكتب إليه أبو تمام:

قــد عرفنــا دلائــل المنــع أو مــا يشــبه اللــوم باحتبــاس الرســول

وافتضــحنا عنــد الحبيــب بمــا ص ح لديــه مــن قــبح وجــه الشــمول

فاجأتنا كدراء لم تسب من تس نيم جريالها ولا السلسبيل

من عقار لا ريحها نكهة المس ك ولا خدها بخد أسيل

لا تهدى سبل العروق ولا تن ساب في مفصل بغير دليل

وكأن الأنامل اعتصرتها بعد كد من ماء وجه البخيل

وهي نزر لو أنها من دموع الص ب لم تشف منه حر الغليل

احتسابا بذلتها أم تصدق ت بها رحمة على ابن سبيل

كم مغطى قد اختبرنا جداه وعرفنا كثيره بالقليل

وحدثنا أبو نجدة الأنماطي الموصلي قال: اعتل البحتري بالموصل فأشار عليه الطبيب بتجنب اللحم وأن يتغذى بمزورة وصفها له، فقال بعض رؤساء الموصل: لي طباخ يجيد صنعة هذه المزورة، وأنا أتقدم إليه باتخاذها في كل يوم، وتوجيهها إليك، فقال له: افعل. فلما جاءته لم يستطبها فكتب إلى الرجل:

وجدت وعدك زورا في مزورة حلفت مجتهدا إحكام طاهيها

فلا شفى الله من يرجو الشفاء بها ولا علت كف ملق كفه فيها

فاحبس رسولك عنها أن يجيء بها فقد حبست رسولي عن تقاضيها

وأهدى معمر السدوسي إلى أبي الخطاب البهدلي جملاً مهزولاً فكتب إليه أبو الخطاب:

أهدى إلينا معمر خروفا كان زمانا عنده مكتوفا

يعلفه الكستج والسفوفا والغارقون بعده مدوفا

حـــتى إذا مـــا صـــار مســـتجيفا   أهـــدى فأهـــدى قصـــبا ملفوفـــا

عظمـــا وجلـــدا فوقـــه وصـــوفا   وكـــان مـــن أفعالـــه موصـــوفا

واستهدى ابن طباطبا من صديق له نبيذا في قرابة، فوجه إليه نبيذا ممزوجا فكتب إليه:

كنـــت اســـتمحتك في قرابـــة مـــاء   "أبا الحسـين" أم اسـتهديت صـهباء

خطبـت جاريـة سمـراء قـد جليـت   علـــى زفـــت إلي اليـــوم بيضـــاء

فرطـت في خـتم بـر قـد سمحـت بـه   قـدبر اللـص فيـه أمـس مـا شـاء

وأهدى رجل إلى دعبل بن علي أضحية مهزولة فلم يرضها وكتب إليه:

بعثـــــــــت إلي بأضـــــــــحية   وكنـــــت حـــــريا بان تفعـــــلا

ولكنهـــــا خرجـــــت غثـــــة   كأنـــــك أعلفتهـــــا حـــــرملا

فـــــإن قبـــــل الله قربانهـــــا   فســـبحان ربـــك مـــا أعـــدلا!

الباب السابع

في ذكر من استهدى شيئا فمنع منه أو مطل به فذم واستبطأ بشعر

حدثنا أبو الفرج قدامة بن جعفر قال: حدثني أبي قال: أهدى أبو جعفر بن سطام إلى إبراهيم بن عيسى الزمن حمارا فلم يحمده، فكتب إلى أبي جعفر يذم الحمار ويعرض بأبي الصقر بن بلبل، وكان يعاديه:

قـــل "لأبي جعفـــر" في عـــيركم ... خمـــس خـــلال مـــن "أبي الصـــقر"

مبلـــد يغمـــز مـــن حقـــوه ... مـــع رقـــة الحـــافر والظهـــر

فـــامنن لهـــذا العـــير يا ســـيدي ... بقوتـــــه للشـــــهر والـــــدهر

فوقع: ليطلق له العلف في كل شهر. قال: فتأخر في بعض الشهور، وكان في شهر رمضان، فكتب إلى أبي جعفر:

يا "أبا جعفـــر" بعيشـــك هـــل أب ... صـــرت عـــيرا يصـــوم شـــهر الصـــيام

جـــاءني الصـــك للحمـــار ولكـــن ... لم أحصـــل ســـوى اســـتماع الكـــلام

فعلـــى حســـب ذاك ســـوف أجـــازي ... ك وآتيـــــك شـــــاكرا في المنـــــام

فأمر أن يسلف لعشر سنين.

واستهدى الحمدوي البصري من أحمد بن حرب طيلسانا لم يرضه، فعمل فيه شعرا كثيرا مشهورا عند الناس، نحن نذكر شيئا منه:

يا بـــن حـــرب كســـوتني طيلســـانا ... مــل مــن صــحبة الزمــان وصــدا

قــد حســبنا نســج العناكــب فيــه ... قــيس مــن نســج طيلســانك ســدا

إن تنحنحـــت فيـــه ينخـــر عشـــرا ... أو تنفســـت نحـــوه انقـــد قـــدا

طـــال تـــرداده إلى الرفـــو حـــتى ... لـــو بعثـــاه وحـــده لتهـــدى

ومن مشهور قوله فيه أيضا، وقد روى بعض هذه القطعة لعبد الصمد بن المعذل في خبر ليس ها هنا موضعه، وهي:

طيلســـان لـــو كـــان لفظـــا إذا مـــا ... شـــك خلـــق في أنـــه بهتـــان

فهـــو كـــالطور إذ تجلـــى لـــه الـــل ... هـــ فهـــدت قـــواه والأركـــان

يا بن حرب فكيف يبقى على البذ ... لـــة ثـــوب يـــذوب وهـــو يصـــان

يا بـــن حـــرب لقـــد رفـــوناه حـــتى ... بقـــى الرفـــو وانقضـــى الطيلســـان

وفيه قوله أيضا:

يا بـــــن حـــــرب إني أرى في زوايا ... بيتنـــا مثـــل مـــا كســـوت جماعـــة

طيلســـــان رفوتـــه ورفـــوت الـــر ... فـــو منـــه وقـــد رقعـــت رقاعـــة

فأطـــاع البلـــى فصـــار خليعـــا ... لـيس يعطـى الرفـاء في الرفـو طاعـة

فـــــإذا ســـــائل رآني فيـــــه ... ظـــن أني فـــتى مـــن أهـــل الصـــناعة

واستهدى الحمدوي أيضا من سعيد بن أحمد البصري شاة فكانت غير مرضية، فأكثر في ذمها؛ فمن ذلك قوله:

بشـاة سـعيد وهـي روح بـلا جسـم ... تمثلـت الأمثـال في شـدة السـقم

يقــول لي الإخــوان لمــا طبختهــا: أتطــبخ شــطرنجا عظامــا بــلا لحــم

فقلــت: كلــوا منهــا فقــالوا تجمــزا: أتطعمنــا ناووس قــوم مــن العجــم

فقلــت لهــم: كانــت لــديهم أســيرة ترى القت في أيدي العدو وفي الحلم

وكـم قـد تغنـت إذ تطـاول جوعهـا، ولم تـر عنـد القـوم شـيئا مـن الطعـم

ألا أيهــا الغضــبان بالله مــا جرمــي إليك فقد بليت لحمى على عظمى

شــــاة ســــعيد في أمرهــــا عــــبر لمــــا أتتنــــا قــــد مســــها الضــــرر

وهــــي تغــــنى لســــوء حالتهــــا حســــبي مــــا قــــد لقيــــت يا عمــــر

مــــرت بقطــــف خضــــر يشــــررها قــــوم فظنــــت بأنهــــا خضــــر

فأقبلــــــت نحوهــــــا لتأكلهــــــا حــــــتى إذا مــــــا تبــــــين الخــــــبر

وأبــــدلتها الظنــــون مــــن طمــــع يأســــا تغنــــت والــــدمع ينحــــدر

كــــانوا بعيــــدا فكنــــت آملهــــم حــــتى إذا مــــا تقــــاربوا هجــــروا

واستهدى ابن طباطبا من بعض الأمراء دابة، وكتب إليه بشعر يقول فيه:

ســــــأغدوا منــــــه محمــــــولا علــــــى أدهــــــم همــــــلاج

بلــــــــون آبنوســــــــــي ووجــــــه كســــــنا العــــــاج

وثيــــــق خلقــــــه لم يــــــؤ ت مــــــن طــــــي وإدمــــــاج

قصــــــير الظهــــــر محبــــــوك عظــــــيم الــــــردف رجــــــراج

كمنشــــــــور الميــــــــادين بــــــــه ســــــــرعة إدراج

ويسـبى السـمع منـه عـن | د إلجـام وإسـراج
صـهيل في لجـام عـل | كـه إيقـاع صـناج
لـه منـه علـى إيقـا | هـ ألحـان أهـزاج
عليـه أبـدا مـن صـب | غـه سـربالديباج
أزح عـني بـه الـه | م ولا تولـع بإحراجـي
فلـم أثتضـك المـرك | ب إلا بعـد إحـواج

فوعده ومطله أياما فكتب إليه:

يا سـيدي أيهـا الأمـير أمـا | تقضـى لنـا بحاجـة رجوناهـا
دابـة الأرض تخـرج مـن قـب | ل خـروج الـتي طلبناهـا
بشـرت نفسـي بمـا سمحـت بـه | وعـدا فحقـق لـدى بشـراها
عنـدي لـك الشـكر والثنـاء وإن | أغريـت نفسـي بطـول شـكواها

واستهدى دعبل بن علي دراعة من بعض الرؤساء، فلم يهدها إليه، وقال: "هذه الدراعة كانت لأبي، وما أسعف بها أحد، فقال دعبل:

مـا يتقضـى عجـبي | مـا عشـت مـن مطلـب
سـألته دراعـة | لباسـها يجمـل بي
فقـال لي: أكـره أن | تلـبس مـن بعـد أبي
وقـد رأى الـبرد ومـن | يلبسـه بعـد "النـبي"

حدثنا جحظة قال: كتب البسامي إلى ابن عمه مُحَمَّد بن جعفر البسامي

يستهديه برذونا كان عنده، فكتب يعتذر ولم يهده إليه، ثم بلغه أنه قال: "أنا أصون هذا البرذون عن ولدي، فكيف أهبه لغيري؟ " فقال البسامي:

بخلـــت عـــني بحـــارن حطـــم	لســت تــراني مــا عشــت أطلبــه
فــلا تقــل صــنته، فمــا خلــق الــل	هـــ مصـــونا وأنـــت تركبـــه

ثم استهداه بعد ذلك حمارا فلم يسعفه، فكتب إليه:

بعثــت لأســتهديك عــيرا فلــم تجــد	ولم أدر أن العــير صــار لنــا صــهرا
فوجــه بــه كــي نشــترك في ركوبــه	فتركبـــه بطنـــا وأركبـــه ظهـــرا

واستهدى البحتري من إسماعيل بن شهاب كاتب ابن أبي داؤاد برذونا كان عنده، فوعده إياه ومطله مدة، وكان للبحتري برذون أدهم فنفق في تلك الأيام، فكتب إليه:

وعـــــدت بـــــرذونا ورددتـــــني	إليـــك حـــتى مـــات بـــرذوني
وكـــان مصـــقول النـــواحي إذا	رأيتـــــه مســـــتغرب اللـــــون
لؤلـــؤة تضـــحك أرجاؤهـــا	تحســـن في البذلـــة والصـــون
منيتـــني الأشـــهب مـــن بعـــد مـــا	فجعتـــــني بالأدهـــــم الجـــــون
إن يكـــذب الميعـــاد تظلـــم وإن	يصـــــدق فـــــبرذون بـــــبرذون

الباب الثامن

في ذكر من لم يقبل الهدية ترفعا وردها تنزها

حدثنا علي بن العباس الكاتب قال: كان أبو العباس السفاح يعرف عمارة بن حمزة مولاه بالكبر وعلو الهمة والقدر، وشدة التنزه؛ فجرى بينه وبين أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة المخزومية زوجته يوما كلام، فاخرته فيه بأهلها، فقال لها أبو العباس: أنا أحضرك الساعة على غير أهبة مولى من موالى ليس في أهلك مثله.

ثم أمر بإحضار عمارة بن حمزة على الحال التي يكون عليها فأتاه الرسول في الحضور؛ فاجتهد في تغيير زيه، فلم يدعه. وجاء به إلى أبي العباس وأم سلمة خلف الستر، وإذا عمارة في ثياب ممسكة، قد لط لحيته بالغالية حتى قامت واستتر شعره فقال: ما كنت أحب أن يراني أمير المؤمنين على هذه الحال. فرمى إليه بمدهن كان بين يديه فيه غالية، فقال: يا أمير المؤمنين، أترى لها في لحيتي موضعا؟. فوجهت إيه أم سلمة عقدا قيمته جليلة، فدفعه إليه الخادم فتركه بين يديه؛ وشكر أبا العابس، ونهض؛ فقالت أم سلمة لأبي العباس: إنما أنسيه. فقال للخادم: ألحقه به، وقل له هذا هدية أم سلمة إليك لم خلفته؟ فاتبعه الخادم وقال: هذا لك فلم تركته؟ فقال: ما هو لي فاردده. فلما عرفه أن أم سلمة أهدته إليه قال: إن كنت صادقا فقد وهبته لك.

فانصرف الخام بالعقد، وعرف أبا العباس ما جرى، فقالت أم سلمة: اردد علي عقدي؛ فامتنع الخادم من رده عليها، وقال: قد وهبه لي الذي وهبته له؛ فلم تزل به إلى أن ابتاعته منه بعشرة آلاف دينار.

قال مُحَّد بن عبدوس: حدثني جعفر بن أحمد عن أشعث رجل كان يخلف العمال بالحضرة قال: كنت أكتب وأخلف أحمد بن مُحَّد ابن مدبر، وهو يتولى مصر وأجناد الشام، فأنفذ إلي في عيد من الأعياد سفاتج بمائتي ألف دينار، وأنفذ معها ثلاثين سفطا من دق مصر وطائفها.

وكتب إلي أن أصير بجميع ذلك إلى عبيد الله بن يحيى هدية له، فوصل إلي كتابه في عشية يوم التروية. فقصدت بابه ولقيت "سعدا" حاجبه، وسألته إيصالي إليه، فاعتل علي بضيق الوقت، فعرفته أن معي شيئا مهما: فاستأذن لي، ودخلت فوجدته خالي الوجه، فقال لي حين رآني: خير؛ قالت: خير – أعز الله الوزير – ودفعت إليه الكتاب، وأخرجت الإضبارة بالسفاتج وعملا بأسماء أهلها، ومبلغ المال، وعملا بالأسفاط.

قال: فوقف على الجميع، ثم قال لي: والله، إن علي من الدين ما أحتاج معه إلى عشرة أمثال ما ذكرت، ولكني لا أحب الحمل على أبي الحسن بتغنم هذا المال منه.

وكتب إلى صاحب بيت المال في قبض مال السفاتج والاحتساب به حملا لأحمد بن مُحَّد بن مدبر، ودعا بالأسفاط، فجعل يقلبها صنفا صنفا، ويستحسنها، ويرد شدها عليها، حتى مر به سفط سفاتج ومناديل صغار،؛ فتناول منها منديلا صغيرا، فجعله بين يديه، ودعا بغلام، فدفع الأسفاط

إليه، وأمره أن يمضي بها، ويسلمها إلى خازن المتوكل؛ ويأمره بعرضها عليه وتعريفه أن عامل مصر حملها هدية للخليفة.

وروى مُحَمَّد بن جرير الطبري في كتاب "التاريخ" عن الفضل ابن إسحاق الهاشمي أن إبراهيم بن جبريل خرج مع الفضل بن يحيى البرمكي إلى خراسان، وهو كاره للخروج، فأحفظ الفضل ذلك عليه.

قال إبراهيم: فدعاني يوما بعد أن أغفلني حينا، فدخلت إليه، فلما وقفت بين يديه، سلمت فما رد السلام، فقلت في نفسي هذا أول الشر، وكان مضجعا فاستوى جالساً، ثم قال لي: ليفرخ روعك يا إبراهيم، فإن قدرتي عليك منعتني منك، ثم عقد لي على سجستان. فلما حملت خراجها وهبه لي وزادني خمسمائة ألف درهم.

وقال: ثم أنفذني إلى كابل فافتتحتها، وغنمت منها ما لا يوصف فما أخذ مني درهماً (واحداً) منه، ثم استعملني على شرطته. قال إبراهيم: فأحصيت مما صار إلي في الشرطة وغيرها مما كان إلي من الأعمال سبعة آلاف درهم. قال: فاجتمع له عندي من مال الخراج أربعة آلاف درهم. فلما قدمت بغداد، وبنيت داري، استزرته: وسألته أن يشرفني بدخول منزلي والتحرم بطعامي، وليرى أثر نعمته علي، فأجابني إلى ذلك فأعددت له الهدايا والطرف، وآنية الذهب والفضة، وجعلت الأربعة الآلاف ألف في ناحية من الدار فلما جاءني وجلس قدمت إليه ما أعددته له من الهدايا فأبى أن يقبل منها شيئا وقال لي: "لم آتك لأسلبك" فقلت: إنما هي نعمتك أيها الأمير، قال: ولك عندنا مزيد. فلم يأخذ من جميع تلك الهدايا إلا سوطا

سجزيا. وقال: هذا من آلة الفرسان؛ فقلت له، وأومأت إلى المال: هذا مال الخراج فقال: هو لك! فأعدت عليه القول، فقال: أما لك بيت يسعه! وسوغه لي وانصرف.

الباب التاسع

في ذكر شيء من أشعار من قصرت يده عن الهدية فاقتصر على الدعاء واعتمد على الشكر والثناء

حدثنا علي بن حيان الأهوازي قال: قال لي الحسن بن دعبل: وافى النوروز في بعض السنين وما عندي شيء أرتضيه هدية لمحمد بن واصل التميمي، فكتبت إليه:

الجود يغرق في المنهل من ديمك	والمجد مفتخر بالغر من شيمك
أما ترى غرة النوروز مشرقة	كأنها بعض ما تسديه من كرمك
يوم جديد وعز أنت لابسه	فافخر بمجدك إن الملك في ذممك
تذل في عزك الأيام صاغرة	وتغرق الراسيات الشم في هممك
الدهر طوعك، والدنيا بأجمعها	في راحتيك، وأهل الأرض في نعمك
هذي هدية عبد أنت ملبسه	ثوب الغنى فاقبل الميسور من خدمك

فلما قرأ الأبيات استخفه الطرب، وحركته الأريحية، فوقع تحت كل بيت منها ألف درهم، ودابة وخلعة، وأحضرني جميع ذلك، فأقمت يومي عنده، وانصرفت بما ذكرت.

وحدثنا الإيذجي القاضي: أنه كتب إلى بعض الرؤساء في يوم مهرجان هذين البيتين:

وافـــق المهرجـــان والعيـــد مـــني رقـــة الحـــال وهـــو داء الكـــرام

فاقتصـــرنا علـــى الـــدعاء وفيـــه عـــون صـــدق علـــى قضـــاء الـــذمام

فوقع على الرقعة: "هذا القول يستحسن من المساكين، وجوابه أن تقول: صنع الله لك". فلم تمض عليه إلا أيام يسيرة حتى اجتاحته جائحة من السلطان أتت على ماله، وألجأته إلى سؤال الناس.

وحدثنا ابن أبي خالد قال: قال أبو علي البصير كتبت إلى الفتح ابن خاقان في يوم مهرجان:

إني جعلـــــــت هـــــــديتي في المهرجـــان إليـــك شـــكري

لمـــــا تعـــــذر واجـــــب فســـح التعـــذر فيـــه عـــذري

فـــإذا أجـــزت علـــى اســـم مـــن وافـــــت هديتـــــه بـــــبر

فـــــأدر علـــــى اسمـــــي دارة واكتـــب عليـــه طلـــيح فقـــر

فضحك وقال: وقعوا على اسمه مائتي دينار وخلعة.

قال أبو هفان: كتبت إلى بعض إخواني في يوم النوروز:

دخلـــــت الســـــوق أبتـــــاع وأســـــتطرف مـــــا أهـــــدي

فمـــــا اســـــتطرفت للإهـــــدا ء إلا طـــــــرف الحمـــــــد

إذا نحـــــــن مـــــــدحناك قضـــــينا حرمـــــة المجـــــد

ونشـــــر المـــــدح في مثـــــل ك أذكـــــى مـــــن ثنـــــا النـــــد

وكتب بعض الشعراء، وكان ممتحنا إلى رجل جليل في يوم نوروز:

جعلـــت فـــداك للنـــوروز حـــق	وأنـــت علـــي أعظـــم منـــه حقـــا

ولـــو أهـــديت فيـــه جميـــع ملكـــي	لكـــان جليلـــه لـــك مســـتدقا

فأهـــديت الثنـــاء بـــنظم شـــعر	وكنـــت لـــذاك مـــني مســـتحقا

لأن هديـــة الألطـــاف تفـــنى	وإن هديـــة الأشـــعار تبقـــى

وحدثنا جحظة قال: دخلت على أبي الصقر بن بلبل، وهو وزير في يوم نوروز، فقال: أين هدية النوروز يا جحظة؟ فقلت: "في صدري أيد الله الوزير" قال: "أحب الهدايا هاتها"، فأنشدته: ب"أبي الصقر" علينا=نعم الله جليله

ملـــك في عينـــه الـــدن	يا لراجيـــه قليلـــه

فأمر لي بمائتي دينار، وخلع علي، وحملني.

الباب العاشر

في ذكر شيء من هدايا ملوك الأطراف للسلطان ومكاتبتهم إياه

حدثنا أبو العباس أحمد بن أبي خالد عن أبيه، عن جده أحمد بن أبي خالد وزير المأمون قال: كتب ملك الهند إلى المأمون مع هدية أهداها إليه: من رهمى ملك الهند، وعظيم أركان الشرق، وصاحب بيت الذهب وألوان الياقوت وفرش الدر.

والذي قصره مبني من العود الذي يختم عليه، فيقبل الصورة قبول الشمع، والذي توجد رائحة قصره من عشرة فراسخ.

والذي يسجد له إمام البد الذي وزنه ألف ألف مثقال من ذهب، وعليه مائة ألف حجر من الياقوت الأحمر والدر الأبيض.

والذي ركب في السعادة في ألف موكب وألف راية مكللة بالدر، تحت كل راية فارس معلمين بالحرير والذهب.

والذي في مربطه ألف فيل خزائمها أعنة الذهب.

والذي يأكل في صحاف الذهب على موائد الدر، والذي في خزائنه ألف تاج وألف حلة جوهر لألف ملك من آبائه، والذي يستحى من الله أن يراه خائنا في رعيته إذا اختصه بالأمانة عليهم والرئاسة فيهم.

إلى عبد الله ذي الشرف والرئاسة على أهل مملكته.

أما بعد فإن الذي تقدم به ذكرنا، أيها الأخ، من الملك والشرف والثروة، فما خطر ما ترتحل به الأوقات وتتخرمه الساعات ذهابا وزوالا والخطر الذي يجب على المستودعين من الله فضيلة العقل والاعتداد به، والمكاثرة له. ولكنا جرينا على ما جرت به سنة الملوك قلبنا، ولم نجهل أن الله له الشرف الذي يفوت الألسن ذكره، فإن الابتداء بتمجيده من أفضل الاعتداد، ولكنا أجللناه عن الافتتاح بذكره إلا في مواقف المناجاة له عابدين.

وأخبارك ترد علينا بفضيلة لك في العلم لم نجدها لغيرك، ونحن شركاؤك في المحبة والرغبة، وإن في أفئدتنا من ذلك ما لم نزل به لله بالفضل ذاكرين. وقد افتتحنا استهداءك بان وجهنا إليك كتابا ترجمته: "صفو الأذهان"؛ والتصفح له يسعد على صواب التسمية، وبعثنا إليك لطفا بقدر ما وقع منا موقع الاستحسان له، وإن كان دون قدرك.

ونحن نسألك، أيها الأخ، أن تنعم في ذلك بالقبول، وتوسع عذرا في التقصير.

وكانت الهدية جام ياقوت أحمر فتحته شبر في غلط الإصبع مملوءا دار، وزن كل درة مثقال والعدد مائة؛ وفراشا من جلد حية تكون بوادي الديبراج، تبتلع القيل؛ ووشى جلدها دارات سود كالدراهم في أوساطها نقط بيض، لا يتخوف من جلس عليها السل، وإن كان به سل وجلس عليها سبعة أيام برئ؛ ومصليات ثلاثا بوسائدها من جلد طائر يقال له السمندل

موشى إذا طرحت في النار لم تحترق فراوزها در؛ ومائة ألف مثقال عود هندي، يختم عليه فيقبل الصورة؛ وثلاثة آلاف منا من كافور محبب، كل حبة أكبر من اللوزة؛ وجارية طولها سبة أذ١رع تسحب شعرها لها أربعة ضفائر طل كل شفر من أشفارها إصبع، يبلغ إذا أطرقت نصف خدها، ناهد؛ لها ثماني عكن في نهاية الحسن والجمال ونقاء البياض.

وكان الكتاب مكتوباً في لحاء شجرة تنبت بالهند يقال لها الكاذي لونه إلى الصفرة، والخط لازورد مفتح بذهب.

فأجابه المأمون: من عبد الله "عبد الله" الإمام المأمون أمير المؤمنين الذي وهب الله له ولاية الشرف بابن عمه النبي المرسل ﷺ وعلى ذكره التصديق بالكتاب المنزل.

إلى ملك الهند وعظيم من تحت يده من أركان الشرق، سلام عليك فإني أحمد إليه الله الذي لا إله إلا هو، وأسأله أن يصلي على مُحَمَّد عبده ورسوله وعلى أهل بينه.

وصل كتابك فسررت لك بالنعمة التي ذكرت ووقع إتحافك إيانا الموقع الذي أملت من قبول ذلك؛ ولولا أن السنة لنا جارية بترك تقديم من لم يكن لنا على الشريعة مواليا ما تركنا ما يحسن من مبرتك بالتقديم والاعتذار فهذا أحد التقديمين، وأنت له منا أهل.

وقد أهدينا إليك كتابا ترجمته "ديوان الأدب وبستان نوادر العقول" ومطالعتك ترجمته تحقق عندك فضيلة النعمة. وجعلنا لذلك عنوانا من الهدية وهو لطف استقللنا قدره لك؛ ولو كانت الملوك تتهادى على أقدارها لما

اتسعت لذلك خزائنها؛ وإنما يجرى ذلك بينها على قدر تدل عليه النية بالتوطين – عن شاء الله تعالى – وكانت الهدية فرسا بفارسه وجميع آلاته من عقيق، ومائدة جزع فيها خطوط سود وحمر وخضر، على أرض بيضا، فتحتها ثلاثة أشبار وغلظها إصبعان، قوائمها ذهب؛ وخمسة أصناف كسوة بياض مصر، وخز السوس، ووشى اليمن، وملحم خراسان، والديباج الخسرواني وفرش قرمز (وفرش) سوسنجرد ومائة طنفسة حيرية بوسائدها.

كل ذلك خز وفرش خز سوسي، مائة قطعة من كل صنف.

وجام زجاج فرعوني فتحته شبر؛ في وسطه صورة أسد نبات، وأمامه رجل قد برك على ركبتيه، وفوق السهم في القوس نحو الأسد.

وكانت المائدة والجام مما أخذ من خزائن بني أمية؛ وكان الكتاب في طومار ذي وجهين؛ وغلظ الخط إصبع.

وحدثنا الوراق المراغي قال: كتبت برتا بنت الأوتاري ملكة فرنجة إلى المكتفي كتابا، ومعه هدايا شرحتها وكان الكتاب: – حفظك الله لسلطانه – أيها الملك الجيد العهد، القوي السلطان، من كل أعدائك، وثبت لك ملكك، وأدام سلامتك في بدنك ونفسك، منذ الآن إلى الأبد.

أنا برتا بنت الأوتاري، الملكة على جميع ملك الفرنجيين، أقرأ يا سيدي عليك السلام. واعلم أنه جرت بيني وبين ملك إفريقية صداقة لأني لم أكن أتوهم أن ملكا يكون فوقه يملك الأرض إلى هذه الغاية. فإن مراكبي كانت خرجت فأخذت مراكب ملك إفريقية؛ وكان رئيسها خادما يقال له "علي" أسرته ومائة وخمسين رجلا كانوا معه، في ثلاثة مراكب؛ ووجدته عاقلا فهما،

فأعلمني أنك ملك على جميع الملوك. وقد كان صار إلى مملكتي خلق كثير لم يصدقني منهم عنك إلا هذا الخادم الذي يحمل كتابي إليك. وقد بعثت معه هدايا مما في بلدي، جعلتها تكرمة لك واستجلابا لمودتك؛ وهي: خمسون سيفا، وخمسون ترسا، وخمسون رمحا فرنجية، وعشرون ثوبا منسوجة بالذهب؛ وعشرون خادما، وعشرون جارية، وعشرة أكلب كبار لا تطيقها السباع، وسبعة بزاة، وسبعة صقور، ومضرب حرير بجميع آلاته؛ وعشرون ثوبا معمولة من صوف تكون في صدف يخرج من البحر يتلون ألوانا في كل ساعة من ساعات النهار، وثلاثة أطيار تكون ببلاد فرنجة، إذا نظرت إلى الطعام والشراب المسموم صاحت صياحا منكرا، أو صفقت بأجنحتها حتى يعلم بذلك. وخرز تجتذب به النصول والأزجة بعد بناء اللحم عليها بغير وجع.

وعرفني هذا الخادم أن بينك وبين ملك الروم المقيم بقسطنطينية صداقة. وأنا أوسع منه سلطانا وبلدا، وأكثر جنودا؛ لأن سلطاني على أربع وعشرين مملكة؛ كل مملكة لسانها مخالف للسان المملكة التي تليها؛ وفي مملكتي مدينة رومية العظمى.

وأنا أسأل الله العون على مصادقتك والصلح بيننا ما أحببت. فإن الأمر في ذلك إليك. وقد حملت هذا الخادم سرا يقوله لك إذا رأى وجهك، وسمع كلامك، ليكون هذا السر بيننا لا أحب أن يقف عليه غيري وغيرك. وعليك أكبر سلام وعلى جميع من معك؛ وكتب الله عدوك، وجعله وطاء قدميك. والسلام.

الباب الحادي عشر

في ذكر هدايا النوكى وتحف المتخلفين

حدثنا جحظة قال: كان ابن الكلبي الإخباري نهاية في التخلف والركاكة والنوك والبلادة؛ وكان عبيد الله بن يحيى بن خاقان يعنى به؛ فقلده الخبر بسر من رأى فكتب إلى المتوكل في بعض الأيام: اعلم، أمير المؤمنين، أطال الله بقاه أن امرأتي أم ولدي حسن –فديته – خرجت ومعها حبتها فلانة ابنة فلان إلى البستان الفلاني، وأن حبتها عربدت عليها، فضربت صدغها بقنينة نبيذ ففتحته فتحا عظيما. فصحف القارئ على المتوكل، فقال: صدعها (بالعين) ، فضحك المتوكل، وقال: ما بقى هذا غاية في الفضيحة.

قال جحظة: ولما مات خلف ابنه "حسنا"، وكان يفضله في التخلف، ويوفى عليه في البلادة ويتقدمه في الحمارية، فحدثني بعض الكتاب، قال:

دعاني في يوم شديد الحر فأقعدني في خيش غير مبلول على فراش أرمني كثير التراب، وقدم لي فجلية حارة، وسقاني نبيذا تمريا، متغير الرائحة، شديد الحرارة، وكان نقلنا تمرا شهريزا وحبة الخضراء، ثم قال لي: أعلمت أن أبي – رحمه الله وقد فعل، وأبقى والدتي وأيدها – لما مات ندم الخليفة أشد ندامة؟ قلت: ولم أقتله؟ قال: لا، قلت: فمات في حبسه؟ قال: لا، قلت: أفكان صادره فلما أخذ ماله اغتم فمات؟ قال: لا قلت: فما معنى ندم الخليفة، وقد مات أبوك حتف أنفه؟ قال: لا أدري، ولكن كذا حدثني ستي أمه

العزيزة – جعلني الله وإياك فداها –.

قال: وبلغه أن عبيد الله بن سليمان ابتاع خادما أسود طباخا، فتوهم بركاكته أنه مزين، فكتب إلى عبيد الله رقعة فيها: أنا – أسعد الله الوزير – وإن لم أكن من العامة ولا الخاصة، فإنني أشفق على الوزير، وأحبه، وأراعي أموره، وأشتهي ما عاد بصلاح حاله، ولما اتصل بي خبر الخادم الذي اشتراه – عرف الله الوزير بركته وعضده بحياته – سررت سرورا شديدا حتى تجاوزت الحد، وخرجت عن الحق، وطاش عقلي في هدية تشاكله، فمن الله بها علي، وسهلها للوزير ببركتي عليه، وهي جونة كانت لمزين الشيخ – ﷺ وأيد المزين فإنه باق – فاخترت من جملة ما فيها موسى ما مشى على رأس أحد بعد الشيخ، ويمشي على رأس الوزير بمشيئة الله تعالى، ومشطا ما اختلف في غير لحية الشيخ، ويختلف في لحية الوزير – أكرمه الله – ومناقشا ما نتف شارب أحد بعد الشيخ، وينتف شارب الوزير، ومحاجم ما وقعت على قفا أحد مذ مات الشيخ، وتقع على قاف الوزير – جعلت فداه – ومشراطا ما شق قفا أحد غير الشيخ ويشق قفا الوزير – بعون الله وقوته –.

وجعلت هذه التحفة في منديل مختوم نقش خاتمه حسن بن الكلبي بالله لا يشرك. فرأى الوزير في قبول هذه الهدية الظريفة التي تشبه وتليق به موفق – إن شاء الله تعالى–.

فلما وصلت الرقعة والهدية إلى عبيد الله، ووقف على الجميع استطير غضبا، وأمر بإحضار رسوله ليعاقبه، فلما دخل إليه، وعلم ما يراد به، قال: أيد الله الوزير، لا تظلمني بالعقوبة، فإني ألقى من جهل هذا الرجل وقلة

عقله ونوكه، في كل يوم أضعاف هذا.

فصدقه جميع من كان في المجلس ولم يعاقبه، وتقدم بإخراج الخادم من داره، فقيل له: إنه نهاية في صنعة الطعام، فقال: والله لا أكلت من طعام طباخ ظن به أنه حجام.

وحدثنا أحمد بن جعفر قال: كان إسحاق بن أيوب التغلبي يحب بدعة جارية عريب المغنية حبا يتجاوز فيه حب المجنون ليلى وعروة لعفراء وبذل في ثمنها مالا جليلا، لا نعلم أن مثله بذل في ثم جارية بوجه ولا سب، فامتنعت مولاتها من بيعها. فلما يئس من ذلك كان يهدى إليها الهدايا النفيسة إلا انه ربما أهدى إليها شيئا يستجهله الناس، ويستركون عقله.

من ذلك أنه أهدى إليها وهو مقيم بديار ربيعة مكبة ذهب في منديل مختوم، وفي المكبة نصف وسط ذكر أنه استطابه فتنغص لهابه، فما وصل إليها حتى تغير فلم يكن للكلب فيه مستمتع.

ومن ذلك أيضا أنه أهدى إليها هدية جليلة فيها غلام من أحسن الغلمان قدا ووجها قد راهق أو قارب ذلك، فاستجهله كل من عرف الخبر، واتصل بالبسامي ذلك فقال:

عجب الناس من جهالة إسحا	ق وفعل أتاه غير جميل
حين أهدى إلى الغزالة ظبيا	ذا قوام لدن وخد أسيل
وفم مشرق الثنايا وألحا	ظ مراض خلال طرف كحيل
أتراها تعف عنه إذا ما	خلوا للعناق والتقبيل

وكــأني بــذيل "بدعــة" قــد صــا ر طريقـــا للقرطـــق المحلـــول

قلـــت: لا تعجبـــوا فـــإن لـــه ذع ـــرا صـــحيح القيـــا غـــير عليـــل

بعـــدت دارهـــا، وقـــام عليـــه فاشـــتهى أن ســـكها برســـول

وحدثنا أبو القاسم علي بن أحمد الأصبهاني قال: كان عندنا بأصبهان رجل حسن النعمة، واسع النفس، كامل المروءة، يقال له: سماك بن النعمان وكان يهوى جارية مغنية من أهل أصبهان، لها قدر ومعنى تعرف "بأم عمرو" فلإفراط حبه إياها وصبابته بها، وهب لها عدة من ضياعه، وكتب عليه ذلك كتبا، وحمل الكتب إليها على بغل؛ فشاع الخبر بذلك، وتحدث الناس به واستعظموه.

وكان بأصبهان رجل متخلف بين الركاكة، يهوى مغنية أخرى، فلما اتصل به ذلك ظن بجهله وقلة عقله أن "سماكا" إنما أهدى إلى "أم عمرو" جلودا بيضاء لا كتابة فيها، وأن هذا من الهدايا التي تستحسن ويجل موقعها عند من تهدى إليه، فابتاع جلودا كثيرة، وحملها على بغلين لتكون هديته ضعف هدية "سماك"، وأنفذها إلى التي يحب.

فلما وصلت الجلود إليها، ووقفت على الخبر فيها تغيظت عليه، وكتبت إليه رقعة تشتمه فيها، وتحلف أنها لا كلمته أبدا، وسألت بعض الشعراء أن يعمل أبياتا في هذا المعنى لتودعها الرقعة، ففعل، وكانت الأبيات:

لا عـــاد طوعـــك مـــن عصـــاكا وحرمـــت مـــن وصـــل مناكـــا

فلقـــد فضـــحت العاشـــقي ن بقـــبح مـــا فعلـــت يـــداكا

أرأيـــت مـــن يهـــدى الجلـــو　　　د إلى عشـــــيقته ســـــــواكا

وأظـــــن انـــــك رمـــــت أن　　　تحكـــــى بفعلـــــك ذا "سماكـــــا"

ذاك الـــــذي أهـــــدى الضـــــيا　　　ع "لأم عمـــــرو" والصـــــكاكا

فبعثـــــت منتنـــــة كـــــأن　　　ك قـــــد مســـــحت بهـــــن فاكـــــا

مـــــن لي بقربـــــك يا رقـــــي　　　ع ولســـــت أهـــــوى أن أراكـــــا

لكـــــن لعلـــــي أن أقـــــط　　　ع مـــــا بعثـــــت علـــــى قفاكـــــا

وحدثنا الصولي قال: كتب بعض عمال "الحجاج" إليه: أما بعد، فقد وجهت إلى الأمير ثوب خز أحمر أحمر أحمر؛ فأجابه "الحجاج": قد وصل الثوب فانصرف معزولا، فإنك أحمق أحمق أحمق!.

وحدثنا ابن أبي خالد عن حماد بن إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال: غنى أبي يوما الرشيد بهذا الشعر:

تخـيرت مـن نعمـان عـود أراكـة　　　"لهنـد" فمـن هـذا يبلغـه "هنـدا

وناولتهـا المسـواك والقلـب خـائف　　　وقلـت ألا يا "هنـد" أهلكتنـا وجـدا

فقال الرشيد: قبح الله هذا عاشقا يهدي لعشيقته مسواكا ثم يمن به عليها.

فقال الأصمعي – وكان حاضرا –: غنها يا أمير المؤمنين قد أنكرت ما أنكرت، فقالت في ذلك شعرا قال: أو تعرف الشعر؟ قال: نعم! وأنشده:

فمـدت يـدا في حسـن دل تنـاولا　　　إليـه وقالـت: لم أخـل مثـل ذا يهـدى

فقال الرشيد صدقت والله، انشدني بقية الشعر، فأنشده:

خليلـــي مـــرا بارك الله فيكمـــا ... وإن لم تكن "هند" لأرضكما قصدا

وقـولا لهـا: لـيس الطريـق أجـازنا ... ولكننـا جئنـا لنلقـاكم عمـدا

غـدا يكثـر البـاكون منـا ومـنكم ... وتـزداد داري مـن دياركـم بعـدا

فـإن شـئت حرمـت النسـاء سـواكم ... وإن شـئت لم أطعـم لذيـذا ولا بـردا

فقال الرشيد: أحسن محا بهذا ما سلف من هدية المسواك. وأجاز الأصمعي.

وحدثنا أبو عبد الله الأسود المصري قال: كان عندنا بالفسطاط شويعر ربما أصاب المعنى باللفظ المهجن، فاتصل به أن عند صديق له مغنية يهواها يقال لها "زادمهر" فأهدى إليه وردا ونبيذا وكتب إليه:

شـــراب مشـــبه بـــول الغـــزال ... وورد مثـــل أســـرام البغـــال

بعثتهـــا لتشـــرب ذا علـــى ذا ... بأكمـــل غبطـــة وأســـر حـــال

وقـــد خـــبرت عنـــدك "زادمهـــر" ... تجـــاوب بالجفـــاف وبالثقـــال

فأنـــت مـــن النســـا إن لم ســـكها ... ضـروب السـك وهـي مـن الرجـال

ومن النوكي الذين أجابوا من أهدى إليهم عند هديتهم بشعر: "عبدون" أخو "صاعد بن مخلد" أهدى إليه ابن منارة في يوم مهرجان كمثرى ورمانا، فأحضر بعض كتابه، وقال له: أجب الرجل عن هديته قال: وبماذا أجيبه؟ فقال: بشعر تقوله فيه. قال: ما أحسن أقول الشعر، ولا تعاطيت قوله قط، فاغتاظ عليه غيظا شديدا. وقال: قم لعنك الله، وأنت كاتبي، وما تحفظ

التسع الطوال، ولا قصيدة حفص بن معدى كرم التي يقول فيها:

أما ترى الشمس حلت الجملا (بالجيم)

ولا غيرها من أشعار الشعراء، ثم قدم الدواة وكان يظن أنه شاعر فكتب:

قـــــد أتتنــــــا هــــــديتانك　　　يا خليلـــي في يـــوم مهرجانـــك

وأكلنـــا مـــن كمشـــراك ورمانـــك　　　فأنـــت جايخـــاني وأنا جايخانـــك

وأنفذ الرقعة إلى صاحب الهدية.

قال: وأهدت امرأة من بعض مياسير البصرة إلى حبتها سراويل فاستقبح ذلك سائر النساء الظراف، وقلن: سلفت بها. فقال في ذلك بعض الشعراء:

يا ويـــح مـــن شـــانت الظرفـــا　　　وغلطـــت غلطـــة جزافـــا

أهـــدت ســـراويلها لبيســـا　　　مرقهـــا قـــد شـــتى وصـــافا

إلى الـــتي ســـاحقت زمـــانا　　　فلـــم تجـــد عنـــدها خلافـــا

فقـــال كـــل الظـــراف قـــولا　　　يوســـــعه كلنـــــا اعترافـــــا:

نقســـم بالبيـــت والمصـــلى　　　ومـــن ســـعى فيهمـــا وطـــاف

لينـــتجن الطـــلاق هـــذا　　　لمـــن رجـــا العـــرس والزفافـــا

فقلـــت: مـــا ســـلفت ولكـــن　　　أهـــدت لشـــق أســـها غلافـــا

وقال أيضا في ذلك:

ظريفــــــة أهــــــدت إلى　　　حبتهــــا مــــن القلــــق

رزيمـــــــــة ملفوفـــــــــة فيهـــــا ســــــريويل خلـــــق

فيــــــه لـمـــــــن قلبـــــــه خطـــــوط حـــــيض وعــــرق

قـــــد لبســــــته زمنـــــــا حــــــتى تهـــــرى وانســـــحق

وكـــــان قــــد صــــابرها فيــــــه صـــــديق فـــــانفتق

فقـــــال مـــــن أبصـــــره: أفـــــا وتفـــــا وبصـــــق

فلطمـــــــــت حبتهـــــــا ونفـــــت مـــــن الخنـــــق

وأقســـمت ب (قـــل هـــو الـــل هـــــــ) يمينـــــا، والفلـــــق

لا ســــــاحقتها أبــــــدا فيـــــه ولــــو قيـــل: احـــترق

ولا أرتهـــــــا وجههـــــــا إلا علــــى ظهــــر الطـــــرق

فأصــــــبحت حقتهـــــــا مفتوحـــــة بـــــلا طبــــق

ذيل الكتاب

أخبار التحف والهدايا في كتب التاريخ والأدب (مرتبة حسب وفيات مؤلفيها)

١- عيون الأخبار - لابن قتيبة (المتوفي سنة ٢٧٦ هـ) مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٤٨ هـ_ ١٩٣٠ م.

الهدايا

قال: حدثنا يزيد بن عمرو قال: حدثنا عمير بن عمران قال: حدثنا الحارث بن عتبة عن العلاء بن كثير عن مكحول قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تصافحوا فإن المصافحة تذهب غل الصدور, وتهادوا فإن الهدية تذهب بالسخيمة) .

وحدثني أبو الخطاب قال: حدثنا بشر بن النفضل عن يونس عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: (لو أهديت لي ذراع لقبلت, ولو دعيت لي كراع لأجبت) .

وفي حديث آخر: (تهادوا تحابوا فإن الهدية تفتح الباب المصمت وتسل سخيمة القلب) .

قال: حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله عن الأصمعي قال: سمعت نافعا يحدث قال: كان ابن عمر يقول: "الهدايا من أمراء الفتنة. " وروى الزبير بن بكار عن عمه قال: كان الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة يجلس وعمر بن عبيد الله بن صفوان, ما يكادان يفترقان, وكان عمرو يبعث إلى الحارث في

كل يوم بقربة من ألبان إبله, فاختلف ما بينهما فأتى عمرو أهله (فقال) : لا تبعثوا للحارث باللبن فإنا لا نأمن أن يرده علينا, وانقلب الحارث إلى أهله فقال: هل أتاكم اللبن؟ قالوا: لا, فلما راح الحارث بعمرو قال: يا هذا لا تجمعن علينا الهجر وحبس اللبن, فقال: أما إذا قلت هذا فلا يحملها إليك غيري, فحملها من ردم بنى جمح إلى أجياد * * * وبعث النضر بن الحارث إلى صديق له يسكن عبادان بنعلين مخصوفتين وكتب غليه: بعثت غليك بهما وأنا أعلم أن بك عنهما غنى, ولكني أحببت أن تعلم أنك منى على ذكر.

وقال بعض الشعراء:

إن الهديـــــــــة حلـــــــــوة	كالســـــحر تجلـــــب القلـــــوبا
تـــدنى البغـــيض مـــن الهـــوى	حـــــــتى تصـــــــيره قريبـــــا
وتعيـــــــد مضـــــطغن العـــــدا	وة بعـــــد نفرتـــــه حبيبـــــا

أهدى رجل إلى صديق له عبدا أسود, فكتب إليه: أما بعد, فلو علمت عددا أقل من واحد أو لونا شرا من الأسود لبعثت به إلى. وهذا نظير قول الآخر وقد سئل كم لك من الولد؟ قال: خبيث قليل, قيل: وكيف؟ فقال:

لا أقل من واحد ولا أخبث من بنت.

* * *

أهدى رجل إلى بعض الأمراء هدية, فكتب إليه الأمير: قد قبلتها بالموقع ورددتها بالإبقاء.

وكان ابن عباس يقول: من أهديت إليه هدية وعنده قوم شركاؤه فيها,

فأهدى غليه صديق ثيابا من ثياب مصر وعنده أقوام فأمر برفعها, فقال له رجل: ألم تخبرنا أن من أهديت غليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها! فقال: إنما ذلك فيما يؤكل ويشرب ويشم, فأما في ثياب مصر فلا.

* * *

وقال خلف الأحمر:

أتاني أخ مـــن غيبـــة كـــان غابهـــا	وكنــت إذا مــا غــاب أنشــده ركبــا
فجـــاء بمعـــروف كثـــير فدســـه	كمــا دس راعــى الســوء في حضــنه
فقلـــت لـــه هـــل جئتـــني بهديـــة	فقال بنفسي قلت أتحف بها الكلبا
هـي الـنفس لا أرثـى لهـا (مـن) بليـة	ولا أتمـــنى أن رأيـــت لهـــا قـــرابا

أهدى رجل إلى صديق له وكتب غليه: الأنس سهل سبيل الملاطفة فأهديت هدية من لا يحتشم, على من لا يغتنم.

* * *

وحدثنا أحمد بن الخليل قال: حدثنا أبو سلمة عن حبابة بنت عجلان عن أمها أم حفص عن صفية بنت جرير عن أم حكيم بنت وداع الخزاعية قالت: قلت للنبي ﷺ: ما جزاء الغنى من الفقير؟ قال: (النصيحة والدعاء) قلت: يكره رد اللطف؟ قال: (ما أقبحه, لو أهديت على ذراع لقبلت, ولو دعيت على كراع لأجبت, تهادوا فإنه يضعف الحب ويذهب بغوائل القلوب) .

وحدثني مُحَمَّد بن سلام الجمحي قال حدثني خلاد بن يزيد الباهلي قال:

أهديت ليزيد بن عمر بن هبيرة في يوم المهرجان هدايا وهو أمير العراق فصفت بين يديه, فقال خلف بن خليفة وكان حاضرا:

كـــأن شمـــاميس في بيعـــة تســـبح في بعـــض عيـــداتها
وقـــد حضـــرت رســـل المهرجـــا ن وصـــفوا كـــريم هـــدياتها
علـــوت برأســـي فـــوق الـــرءوس فأشخصـــته فـــوق هاماتهـــا
لأكســـب صـــاحبتي صـــحفة تغـــيظ بهـــا جاراتهـــا

فأمر له بجام من ذهب, ثم أقبل يفرق بين جلسائه تلك الهدايا, وينشد:

لا تـــبخلن بـــدنيا وهـــي مقبلـــة فلـــيس ينقصـــها التبـــذير والســـرف
فـــإن تولـــت فـــأحرى أن تجـــود بهـــا فالحمـــد منهـــا إذا مـــا أدبـــرت خلـــف

* * *

كتب رجل من أصحاب السلطان على بعض العمال يستهديه مهارة من ناحية عمله. فكتب إليه العامل: أما المهارة فإن أهل عملنا يصونونها صيانة الأعراض, ويسترونها ستر الحرم, ويسومون بها مهور العقائل, وأنا مستخلص لك منها ما يكون زين المربط وحملان الصديق, إن شاء الله.

وقال بعضهم: الهدية إذا كانت من الصغير إلى الكبير, فكلما لطفت ودقت كان أبهى لها, وإذا كانت من الكبير على الصغير, فكلما عظمت وجلت كان أوقع لها وأنجع.

وكتب أبو السمط:

بدولـــة جعفـــر حســـن الزمـــان — لنـــا بـــك كـــل يـــوم مهرجـــان

ليـــوم المهرجـــان بـــك اختيـــال — وإشـــــراق ونـــــور يســـــتبان

جعلـــت هـــديتي لـــك فيـــه وشـــيا — وخـــير الوشـــي مـــا نســـج اللســـان

* * *

أهدى حسام بن مصك نعلا رقيقة, فجعل قتادة يزنها بيده, وقال: إنك تعرف سخف عقل الرجل في سخف هديته.

وقال الشاعر:

ســـقى حجاجنـــا نـــوء الثـــراي — علـــى مـــا كـــان مـــن بخـــل ومطـــل

هـــم جمعـــوا النعـــال وأحرزوهـــا — وســـــدوا دونهـــــا بابا بقفـــــل

إن أهـــد نفســـي فهـــي مـــن ملكـــه — أو أهـــد مـــالي فهـــو مـــن مالـــه

* * *

لما قدم معاوية المدينة منصرفاً عن مكة, بعث على الحسن والحسين وعبد الله ابن جعفر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن صفوان بن أمية بهدايا من كسى وطيب وصلات من المال, ثم لرسله: ليحفظ كل رجل منكم ما يرى ويسمع من الرد. فلما خرج الرسل من عنده, قال لمن حضر: إن شئتم أنبأناكم بما يكون من القوم, قالوا: أخبرنا يا أمير المؤمنين, قال أما الحسن فلعله ينيل نساءه شيئا من الطيب وينهب ما بقي من حضره ولا ينتظر غائبا. وأما الحسين فيبدأ بأيتام من قتل مع أبيه

بصفين, فإن بقى شيء نحر به الجزر وسقى به اللبن.

وأما عبد الله بن جعفر فيقول: يا بديح اقض به ديني, فإن بقى شيء فأنفذ به على عداتي. وأما عبد الله بن عمر فيبدأ بفقراء بني عدي بن كعب, فإن بقى شيء ادخره لنفسه ومان به عياله. وأما عبد الله بن الزبير فيأتيه رسولي وهو يسبح فلا يلتفت غليه ثم يعاوده الرسول فيقول لبعض كفاته خذوا من: رسول معاوية ما بعث به. وصله الله وجزاه خيرا, لا يلتفت غليها وهى أعظم في عينه من أحد, ثم ينصرف على أهله فيعرضها على عينه ويقول: ارفعوا, لعلى أن أعود بها على ابن هند يوما ما. وأما عبد الله بن صفوان فيقول: قليل من كثير, وما كل رجل من قريش وصل إليه هكذا, ردوا عليه, فإن رد قبلناها. فرجع رسله من عندهم بنحوها مما قال معاوية, فقال معاوية: أنا ابن هند! أعلم من قريش.

* * *

قال يونس بن عبيد: أتيت ابن سيرين فدعوت الجارية, فسمعته يقول: قولوا له: إني نائم –يريد: سأنام–, فقلت: معي خبيص, فقال مكانك حتى أخرج إليك.

قال رجل لبى الدرداء: إن فلانا يقرئك السلام, فقال: هدية حسنة ومحمل خفيف.

وبعث رجل إلى جارية يقال لها "راح" براح وكتب إليها:

قـــل لمـــن يملـــك الملـــو ك وإن كـــان قـــد ملـــك

قـــــد شـــــربناك فاشـــــربي   وبعثنـــــا إليـــــك بـــــك

أهدى رجل إلى عبيد بن الأخطل شاة مهزولة, فكتب إليه عبيد:

وهبـــت لنـــا يا أخـــا منقـــر   وعجـــــــل وأكرمهـــــــا أولا
عجـــوزا أضـــر بهـــا دهرهـــا   وأنزلهـــا الـــذل دار البلـــى
ســـلوحا حســـبت بأن الرعـــاء   ســـقوها الغريقـــون والحـــنظلا
وأجـــدب مـــن ثـــور زراعـــة   أصـــاب علـــى جوعـــه ســـنبلا
فـــإن أهـــديت فاكهـــة وجـــديا   وعشـــر دجـــائج بعثـــوا بنعـــل
ومســـــــواكين طولهمـــــا ذراع   وعشـــر مـــن ردىء المقـــل حســـل
فـــإن أهـــديت ذاك ليحملـــوني   علـــى نعـــل فـــدق الله رجلـــي
أناس تائهـــــون لهـــــم رواء   تغـــيم سمـــاؤهم مـــن غـــير وبـــل
إذا انتســـبوا ففـــرع مـــن قـــريش   ولكـــن الفعـــال فعـــال عكـــل

* * *

كتب رجل إلى صديق له: لولا أن البضاعة قصرت بي عن بلوغ الهمة لأتعبت المسابقين على برك. وكرهت أن تطوى صفيحة البر, وليس لي فيها ذكر, فبعثت إليك بالمبتدأ بيمنه وبركته والمختوم بطيبه ورائحته: جراب ملح, وجراب أشنان

أهدى الطائي على الحسن بن وهب قلما وكتب إليه:

قـــد بعثنـــا إليـــك أكرمـــك الـــل   هــ بشـــيء فكـــن لـــه ذا قبـــول

لا تقسه على ندى كفك الغمـ ... ر ولا نيلك الكثير الجزيل

واغتفر قلة الهدية مني ... إن جهد المقل غير قليل

وبعث أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع بنعل وكتب معها:

نعل بعثت بها لتلبسها ... تسعى بها قدم إلى المجد

لو كان يمكن أن أشركها ... جلدي جعلت شراكها خدي

وقال بعض الشعراء في نحو ذلك:

أو ما رأيت الورد أتحفنا به ... إتحاف من خطر الصديق بباله

لو كان يهدى لامرئ ما لا يرى ... يهدى لعظم فراقه وزياله

لرددت تحفته عليه وإن علت ... عن ذاك واستهديت بعض خصاله

وقال المهدي:

تفاحة من عند تفاحة ... جاءت فماذا صنعت بالفؤاد

والله ما أدرى أأبصرتها ... يقظان أم أبصرتها في الرقاد

* * *

قال: وكتب بعض العمال إلى صديق له: إني تصفحت أحوال الأتباع الذين يجب عليهم الهدايا على السادة في مثل هذا اليوم والتأسي بهم في الإهداء, وإن قصرت الحال عن قدرك, فرأيتني إن أهديت نفسي فهي ملك لك لا حظ فيها لغيرك ورميت بطرفي إلى كرائم مالي فوجدت أكثرها منك, فكنت إن أهديت شيئا منه كالمهدي مالك إليك ومنفق نفقتك عليك, وفزعت على مودتي وشكري فوجدتها خالصين لك قديمين غير مستحدثين:

ورأيت إن أنا جعلتهما هديتي لم أجدد لهذا اليوم الجديد برا ولا لطفا. ولم اقس منزلة من شكري بمنزلة من نعمتك إلا كان الشكر مقصرا عن الحق, وكانت النعمة زائدة على ما تبلغه الطاقة, ولم أسلك سبيلا ألتمس بها برا أعتد به أو لطفا أتوصل إليه, إلا وجدت رضاك قد سبقني غليه فجعلت الاعتراف بالتقصير عن حقك هدية إليك, وقد قلت في ذلك:

وأزهــد مــن جيفــة لم تــدع — لها الشـمس مـن مفصـل مفصـلا
فــأهوت يميــني إلى جنبهــا — فخلــت حراقيفهــا جنــدلا
وأهــوت يســاري لعرقوبهــا — فخلــت عراقيبهــا مغــزلا
فقلــت أبيــع فــلا مشــربا — تــؤدى إلى ولا مــأكلا
أم اجعــل مــن جلــدها حنــبلا — فأقــذر بجنبلهــا حنــبلا
إذا هــي مــرت علــى مجلــس — مــن العجــب كــبر أو هلــلا
رأوا آيــة خلفهــا ســائق — يحــث وان هرولــت هــرولا
فكنــت أمــرت بهــا ضــخمة — بشــحم ولحــم قــد اســتكملا
ولكــن روحــا عــدا طــوره — ومــا كنــت أحســب أن يفعــلا
فعــض الــذي خــانني حــاجتي — ناســت أمــه تطرهــا الأعــرلا
فلــولا مكانــك خضــبتها — وعلقــت في جيــدها جلجــلا
فجــاءت لكيمــا تــرى حالهــا — فــتعلم أنى بهــا مبتلــى
ســألتك لحمــا لصــبياننا — فقــد زدتــني فــيهم عــيلا
فخــذها وأنــت بهــا محســن — ومــا زلــت بي محســنا مجمــلا

وبعث رجل إلى دعبل بأضحية, فكتب إليه:

بعثـــــــت إلى بأضـــــــحية وكنـــــت حـــــريا بأن تفعـــــلا
ولكنهـــــا خرجـــــت غثـــــة كأنـــــك أرعيتهـــــا حـــــرملا
فـــــإن قبـــــل الله قربانها فســـبحان ربـــك مـــا أعـــدلا

قيل لرجل قدم من مكة: كيف أثمان النعال بمكة؟ قال: أثمان الجداء بالعراق.

وقال مسلم بن الوليد:

جـزى الله مـن أهـدى الـترنج تحيـة ومـن بمـا يهـوى عليـه وعجـلا
أتتنـا هـدايا منـه أشـبهن ريحـه وأشـبه في الحسـن الغـزال المكحـلا
ولـو أنـه أهـدى إلى وصـاله لكـان إلى قلـبي ألـذ وأوصـلا

***

وكتب رجل إلى صديق له شرب دواء:

تأنـق في الهديـة كـل قـوم غليـك غـداة شـربك للـدواء
فلمـا أن هممـت بـه مـدلا لموضـع حـرمتي بـك والإخـاء
رأيـت كثـير مـا أهـدى قلـيلا لعبـك فاقتصـرت علـى الـدعاء

وكتب رجل إلى صديق له: وجدت المودة منقطعة ما كانت الحشمة عليها متسلطة, وليس يزيل سلطان الحشمة إلا المؤانسة, ولا تقع المؤانسة إلا بالبر والملاطفة.

حدثني زيد بن أخزم عن عبد الله بن داود قال: سمعت سفيان الثوري يقول: إذا أردت أن تتزوج فأهد للأم. والعرب تقول: من صانع لم يحتشم من كلب الحاجة.

قال ميمون بن ميمون: إذا كانت حاجتك على كاتب فليكن رسولك الطمع. وقال علي بن أبي طالب -ﷺ-: نعم الشيء الهدية أمام الحاجة. وقال رؤبة:

لمـــا رأيـــت الشـــفعاء بلـــدوا   وســـألوا أمـــيرهم فانكـــدوا

نامســـتهم برشـــوة فـــأفردوا   وســـهل الله بهـــا مـــا شـــددوا

٢- الشعر والشعراء -لابن قتيبة الدينوري (المتوفي ٢٧٦ هـ) طبعة الشيخ أحمد مُحَمَّد شاكر- بمصر ١٣٦٩ هـ.

وكان أبو العتاهية أتى أحمد بن يوسف الكاتب, فحجب عنه, فقال:

مـتى يظفـر الغـادي إليـك بحاجـة   ونصـفك محجـوب ونصـفك نائـم

وبعث على بعض الملوك بنعل, وكتب إليه:

نعـــل بعثـــت بهـــا لتلبســـها   تســـعى بهـــا قـــدم إلى المجـــد

لـــو كـــان يحســـن أن أشـــركها   خـــدي جعلـــت شـــراكها خـــدي

***

وقال في الهدية:

جـزى الله مـن أهـدى الـترنج تحيـة   ومـن بمـا يهـوى عليـه وعجـلا

أتتنا هدايا منه أشبهن ريحه   وأشبه في الحسن الغزال المكحلا

ولو أنه أهدى على وصاله   لكان إلى قلبي ألذ وأفضلا

٣- الموشى -لأبي الطيب مُحَّد بن إسحاق بن يحيى الوشاء (المتوفي سنة ٣٢٥ ﻫ) طبعة ليدن ١٣٠٢ﻫ- ١٨٨٦ م

باب ذكر الأشياء التي يتطير الظرفاء من إهدائها

فأما الأترج فإن باطنه خلاف ظاهره, وهو حسن الظاهر, حامض الباطن, طيب الرائحة, مختلف الطعم, ولذلك يقول فيه الشاعر:

أهدى له أحبابه أترجة   فبكى وأشفق من عيافة زاجر

خاف التلون إذا أتته لأنها   لونان باطنها خلاف الظاهر

فرق الميتم من حموضة لبها   واللون زينها لعين الناظر

وأما السفرجل, فلأن فيه اسم السفر, وقد قال فيه الشعر:

متحفي بالسفرجل   لا أريد السفرجلا

اسمه لو عرفته   سفر جل فاعتلى

وقال آخر:

أهدت إليه سفرجلا فتطيرا   ومنه وظل متيما مستعبرا

خاف الفراق لأن أول اسمه   سفر فحق له بأن يتطيرا

***

وأما السوسن فلأن اسمه السوء, وقال فيه الشاعر:

سوســـــنة أعطيتنيهـــــا ومـــــا كنـــــت بإعطائكهـــــا محســـــنه
شــطر اسمهـا ســوء فـإن جئـت بال آخـــر منهـــا فهـــو ســـوء ســـنه
وأنـــــت إن هـــــاجرتني ســـــاعة قلــت: أتــت مــن قبــل السوســنه

وقال آخر:

يا ذا الــذي أهــدى لنــا سوســنا مـــا كنـــت في إهدائـــه محســـنا
أولــــه ســــوء فقـــــد ســـــاءني يا ليـــــت أني لم أر السوســـــنا

وأما الياسمين فلمبدأ اسمه تطير منه, قال الشاعر:

أهـــدى حبيـــبي ياسمينـــا فـــبي مـــن شـــرة الطـــيرة وســـواس
أراد أن يـــؤئس مـــن وصـــله إذ كـــان في شـــطر اسمـــه اليـــاس

***

وقد استحسنوا هدايا كثيرة, وتفاءلوا فيها بقول الشاعر, وإن كان بعضها مما ذكرناه أنهم لا يتهادونه من طريق الظرف, واجتنبوه لعلة التسفيل, وأحبوه من حسن التفول. فمن ذلك الرمان, وهو مما ذكرناه أنهم لا يتهادونه لما فيه من التسهيل, وما يقع فيه من التمثيل. وكذلك الشاهلوج, والنبق, والورد, والبنفسج.

فأما الرمان, فقد قال فيه الشاعر:

أهـــدت إليـــه بظرفهـــا رمـــانا تنبيـــــه أن وصـــــالها قـــــد آنا

قـــال الفـــتى لمـــا رآه تفـــاؤلا:	وصـــل يكـــون متممـــا أحيـــانا
رم يـــــرم تشـــــعثي بوصـــــالها	لقــد التفــاؤل صــادقا قــد كــانا

***

وأما الشاهلوج, فهو فيه النوى, وقد تماداه لموضع تفاؤل الشاعر به إذ يقول:

أهـــدت إليـــه الآن شـــاهلوجا	تنبيــه أن لــو جــاء كــان ولوجــا
فمضــى علــى فــأل الهدية جاســرا	عمـــدا فصـــار مـــداخلا خريجـــا

***

وأما النبق, فهو يستقبل وقد قال فيه الشاعر:

أيا أحســــــــننا خلقـــــــــا	ومـــن فـــات الـــورى ســـبقا
تفاءلــــــــت بأن تبقـــــــى	فأهـــــديت لنـــــا النبقـــــا
فأبقـــــاك إلـــــه النـــــا	س مـــــا ســـــرك أن تبقـــــى
وأشـــــــقى الله شـــــــانيك	وحاشـــــا لـــــك أن تشـــــقى

***

وأما البنفسج أيضا فقد قال فيه الشاعر:

أهــدت إليــه بنفســجا يســليه	تنبيـــه أن بنفســـها تفديـــه
فـــارتاح بعـــد صـــبابة وكآبـــة	ورجـــا لحســـن الظـــن أن تدنيـــه

***

وأما الورد فقد تفاءل كثير من الظرفاء. أنشدني بعض الأدباء:

أهـــدى لـــه وردا فـــأخبره أنـــه　　　في الـــــواردين ولم يكـــــن ورادا

فـارتاح مـن فـرح بطيـب وفـوده　　　وعـــدا لـــه ورد الحيـــاء فـــزادا

***

وأهدى بعض الكتاب نعلا وكتب على شراكها:

لي فـــــؤاد شـــــفه الحـــــز　　　ن وأضـــــــناه الصــــــــدود

وهـــــــواي كـــــــل يـــــــوم　　　هـــــــو ينمـــــــى ويزيـــــــد

وأخبرني من رأى نعلا من فضة أهديت لبعض الظرفاء, عليها مكتوب:

بأبي أنـــت ســـيدي ومنـــاي　　　جعـــل الله والـــدي فـــداكا

لـك خـدي مـن الثـرى لـك نعـلا　　　قـد للنعـل مـن فـؤادي شـراكا

***

وقرأت في تفليج أترجة أهديت لبعض الظرفاء:

هـــــي في العـــــالم كالشـــــم　　　س أضـــــاءت في الـــــبلاد

وهـــــي في كـــــل كمـــــال　　　قـــد علـــت فـــوق العبـــاد

وأخبرني من قرأ في تفليج تفاحة:

أنا للعاشـــــــق منســـــــوبه　　　أهـــدى لمحبـــوب ومحبوبـــه

***

وحضرت هدية لبعض متطرفات القيان إلى بعض ظرفاء الكتاب وفيها

تفاحة تفليجها مكتوب:

لـــيس تفاحـــة بأطيـــب طيبـــا   مـــن حبيـــب معـــانق لحبيـــب

وأترجة في تفليجها مكتوب:

أهـــدى هـــلال لكـــل يـــوم   إذا بـــدا الثغـــر بابتســـام

٤- العقد الفريد -لابن عبد ربه ٠المتوفي سنة ٣٢٧ هـ) طبع في القاهرة ١٣٦٩ هـ- ١٩٥٠ م

الهدايا

كتب سعيد بن حميد إلى بعض أهل السلطان في يوم النيروز: أيها السيد الشريف, عشت أطول الأعمار, بزيادة من العمر, موصولة بقرائنها من الشكر, لا ينقضي حق نعمة حتى تجدد لك أخرى, ولا يمر بك يوم إلا كان مقصرا عما بعده, موفيا على ما قبله. إني تصفحت أحوال الأتباع الذين تجب عليهم الهدايا إلى السادة فالتمست التأسي بهم في الإهداء, وإن قصرت بي الحال عن الواجب, وإني وإن أهديت نفسي فهي ملك لك, لا حظ فيها لغيرك, ورميت بطرفي إلى كرائم مالي فوجدتها منك. فكنت إن أهديت منها شيئا كمهدي مالك إليك, وفزعت على مودتي, فوجدتها خالصة لك قديمة غير مستحدثة, فرأيت إن جعلتها هديتي لم أجدد لهذا اليوم الجديد برا ولا لطفا, ولم أميز منزلة من الشكر بمنزلة من نعمتك, إلا كان الشكر مقصرا عن الحق والنعمة زائدة على ما تبلغه الطاقة, فجعلت الاعتراف بالتقصير عن حقك هدية إليك والإقرار بما يجب لك برا أتوصل به إليك, وقلت في ذلك:

إن أهـــد مـــالا فهـــو واهبـــه ... وهـــو الحقيـــق عليـــه بالشـــكر

أو أهـــد شـــكرا فهـــو مـــرتهن ... بجميـــل فعلـــك آخـــر الـــدهر

والشـــمس تســـتغني إذا طلعـــت ... أن تستضـــيء بســـنة البـــدر

***

وكتب بعض الكتاب إلى بعض الملوك: النفس لك, والمال منك, والرجاء موقوف عليك, والأمل مصروف نحوك, فما عسى أن أهدى إليك في هذا اليوم, وهو يوم سهلت فيه العادة سبيل الهدايا للسادة, وكرهت أن نخليه من سنته, فنكون من المقصرين, أو أن ندعى أن في وسعنا ما يفي بحقك علينا, فنكون من الكاذبين, فاقتصرنا على هدية تقضى بعض الحق, وتنفي بعض الحقد وتقوم عندك مقام أجمل البر. ولا زلت أيها الأمير دائم السرور والغبطة, في أتم أحوال العافية, وأعلى منازل الكرامة تمر بك الأعياد الصالحة, والأيام المفرحة, فتخلقها وأنت جديد, تستقبل أمثالها فتلقاك ببهائها وجمالها. وقد بعثت الرسول بالسكر لطيبه وحلاوته, والسفرجل لفأله وبركته والدرهم لبقائه عند كل من ملكه ولا زلت حلو المذاق على أوليائك مرا على أعدائك, متقدما عند خلفاء الله الذين تليق بهم خدمتك وتحسن أفنيتهم بمثلك. وقد جمعنا في هذه القصيدة ثناء ومسرة واعتذارا وتهنئة. وهي:

غـــاد في المهرجـــان كأســـا شمـــولا	وأطعـــــني ولا تطـــيعن عـــــذولا
فهـــو يـــوم قـــد كـــان آباؤك الــغ	ر يحلونـــــــه محـــــــلا جلـــــــيلا
إن للصـــيف دولـــة قـــد تقضـــت	وأراك الشـــــتاء وجهـــــا جمـــــيلا
وتجلـــت لـــك الـــرياض عـــن النـــو	ر فكانـــت عـــن كـــل شـــيء بـــديلا
فتمتـــع باللهـــو لا زلـــت جـــذلا	ن وطـــرف الزمـــان عنـــك كلـــيلا
لم أجـــد لي هديـــة حـــين حصـــل	ت كثـــــيرا ملكتـــــه وقلـــــيلا
يعـــــدل الشـــــكر والثنـــــاء وإن لم	يـــك شـــكري لمـــا أتيـــت عـــديلا

فجعلت الذي أطيق من الشك ... ر على ما عجزت عنه دليلا
يا لها من هدية تقنع المه ... دي إليه ولا تعنى الرسولا

***

وكتب بعض الشعراء إلى بعض أهل السلطان في المهرجان: هذه أيام جرت فيها العادة بألطاف العبيد للسادة وإن الصناعة تقصر عما تبلغه الهمة, فكرهت أن أهدى فلا أبلغ مقدار الواجب فجعلت هديتي هذه الأبيات وهي:

ولما أن رأيت ذوى التصافي ... تباروا في هدايا المهرجان
جعلت هديتى ودا مقيما ... على مر الحوادث والزمان
وعبدا حين تكرمه ذليلا ... ولكن لا يقر على الهوان
يزيدك حين تعطيه خضوعا ... ويرضى من نوالك بالأماني

***

وأهدى أبو العتاهية على بعض الملوك نعلا وكتب معها:

نعل بعثت بها لتلبسها ... تسعى بها قدم على المجد
لو كان يصلح أن أشركها ... خدي جعلت شراكها خدي

وأهدى على بن الجهم كلبا وكتب:

استوص خيرا به فإن له ... عندي يدا لا أزال أحمدها
يدل ضيقي على في غسق ال ... ليل إذا النار نام موقدها

أهدى أحمد بن يوسف ملحا طيبا على إبراهيم بن المهدي وكتب إليه: الثقة بك سهلت السبيل إليك فأهديت هدية من لا يحتشم على من لا يغتنم.

وأهدى إبراهيم بن المهدي إلى إسحق بن إبراهيم الموصلي جراب ملح وجراب أشنان وكتب إليه: لولا أن القلة قصرت عن بلوغ الهمة لأتعبت السابقين إلى برك, ولكن البضاعة قعدت بالهمة, وكرهت أن تطوى صفيحة البر وليس لي فيها ذكر, فبعثت بالمبتدأ به ليمنه وبركته, والمختوم به لطيبه ونظافته, وأما ما سوى ذلك فالمعبر عنا فيه كتاب الله تعالى إذ يقول: (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج) إلى آخر الآية.

***

وكتب إبراهيم بن المهدي على صديق له: لو كانت التحفة على حسب ما يوجبه حقك لأجحف بنا أدنى حقوقك ولكنه على قدر ما يخرج الوحشة ويوجب الأنس وقد بعثت بكذا وكذا.

***

وكتب رجل إلى المتوكل على الله وقد أهدى إليه قارورة من دهن الأترج: إن الهدية يا أمير المؤمنين إذا كانت من الصغير إلى الكبير فكلما لطفت ودقت كانت أبهى وأحسن, وإذا كانت من الكبير إلى الصغير فكلما عظمت وجلت كانت أنفع وأوقع, وأرجو أن لا تكون قصرت بي همة أصارتني إليك ولا أخرني إرشاد دلني عليك, وأقول:

مــا قصــرت همــة بلغــت بهــا بابــك يا ذا النــدى وذا الكــرم

حســبي بوديــك أن ظفــرت بــه ذخــرا وعــزا يا واحــد الأمــم

***

أهدى حبيب بن أوس الطائي على الحسن بن وهب قلما وكتب معه إليه هذه الأبيات:

قــد بعثنــا إليــك 'كرمــك الــل هــ بشــيء فكــن لــه ذا قبــول

لا تقسه على ندى كفك الغمر ولا نيلــك الكثــير الجزيــل

فاســتجر قلــة الهديــة مــنى إن جهــد المقــل غــير قليــل

ومن قولنا في هذا المعنى وقد أهديت سلى عنب ومعهما:

أهــديت بيضــا وســودا في تلونهــا كأنهــا مــن بنــات الــروم والحــبش

عــذراء تؤكــل أحيــانا وتشــرب أح يانا فتعصــم مــن جــوع ومــن عطــش

وأهديت حوتين وكتبت معهما:

أهــديت ازرق مقــرونا بزرقــاء كالمــاء لم يغــذها شــيء ســوى المــاء

ذكاتهــا الأخــذ مــا تنفــك طــاهرة بالــبر والبحــر أمــواتا كأحيــاء

وأهديت طبق ورد ومعه:

رياحــين لريحانــة المجــد جنتهــا يــد التخجيــل مــن حمــرة الخــد

وورد بــه حييــت غــرة ماجــد شمائلــه أذكــى نســيما مــن الــورد

ووشــى ربيــع مشــرق اللــون ناضــر يلــوح عليــه ثــوب وشــى مــن الحمــد

بعثت بها زهراء من فوق زهرة كتركيب معشوقين خدا على خد

وكتبت على كأس:

اشرب على منظر أنيق وامزج بريق الحبيب ريقي

واحلل وشاح الكعاب رفقا واحذر على خصرها الرقيق

وقل لمن لام في التصابي إليك خل عن الطريق

وأنشد أحمد بن أبي طاهر في هذا المعنى:

ما ترى في هدية من فقير حيل ما بينه وبين اليسار

يغرب الناس في الهدايا إلى النا س ويهدى غرائب الأشعار

محكمات كأنها قطع الرو ض تحلت أنواره بالبهار

وأنشد ابن يزيد بن المهلب في المعتمد:

سيبقى فيك ما يهدى لساني إذا فنيت هدايا المهرجان

قصائد تملأ الآفاق مما أحل الله من سحر البيان

وقال آخر:

جعلت فداك للنيروز حق وأنت على أوجب منه حقا

ولو أهديت فيه جميع ملكي لكان جميعه لك مسترقا

وأهديت الثناء بنظم شعر وكنت لذاك مني مستحقا

لأن هدية الألطاف تفنى وأن هدية الأشعار تبقى

وقال حبيب:

فــو الله لا أنفــك أهــدى شــواردا   إليـــك يحملـــن الثنـــاء المـــنخلا

ألــذ مــن الســلوى وأطيــب نفحــة   مــن المســك مفتوقــا وأيســر محمــلا

وقال مروان بن أبي حفصة:

بدولـــة جعفـــر حمـــد الزمـــان   لنـــا بـــك كـــل يـــوم مهرجـــان

جعلــت هــديتي لــك فيــه وشــيا   وخــير الوشــى مــا نســج اللســان

وقال أحمد بن أبي طاهر:

مــن ســنة الأمــلاك فيمــا مضــى   مـــن ســـالف الـــدهر وإقبالـــه

هديـــــة العبـــــد إلى ربـــــه   في جـــدة الـــدهر وأحوالـــه

فقلــت مــا أهــدى إلى ســيدي   حــالي ومــا خولــت مــن حالــه

إن أهــد نفســي فهــي مــن نفســه   أو أهــد مــالي فهــو مــن مالــه

فلــيس إلا الحمــد والشــكر وال   مـــدح الـــذي يبقـــى لأمثالـــه

وقال الحمدوني وأهدى غليه سعيد بن حميد أضحية مهزولة.

لســـــــعيد شـــــــويهة   نالهـــا الضـــر والعجـــف

فتغنـــــت وأبصـــــرت   رجـــلا حـــاملا علـــف

بأبي مـــــن بكفـــــه   بـــرء دائـــي مـــن الـــدنف

فأتاهـــــا مطمعـــــا   وأتتـــــه لتعتلـــــف

ثم ولى فأقبلت ... تتغنى من الأسف:

ليتـــه لم يكـــن قـــد وقـــف   عـــذب القلـــب وانصـــرف

قال الحمدوني: كتبت على الحسن بن إبراهيم, وكان كل سنة يبعث إلى بأضحية فتأخر عنى سنة, فكتبت إليه:

ســـيدي أعـــرض عـــنى   وتناســـى الـــود مـــنى
مـــر بي أضـــحى وأضـــحى   أخلفـــاني فيـــه طـــني
لا يـــــراني فيهمـــــا أه   لا لظلـــــف ولقـــــرن
فتغـــــذيت بيـــــأس   ثم ضـــــحيت بجـــــني
واصـــطبحت الـــراح يومـــا   ثم أنشـــــدت أغـــــنى:
لا بجـــرم صـــد عـــنى   صـــد عـــنى بالتجـــني

***

أهدت جارية من جواري المأمون تفاحة له, وكتبت إليه: إني يا أمير المؤمنين لما رأيت تنافس الرعية في الهدايا إليك, وتواتر ألطافهم عليك, فكرت في هدية تخف مؤونتها, وتهون كلفتها ويعظم خطرها, ويجل موقعها, فلم أجد ما يجتمع فيه هذا النعت, ويكمل فيه هذا الوصف إلا التفاح فأهديت إليك منها واحدة في العدد, كثيرة في التصرف, وأحببت يا أمير المؤمنين أن أعرب لك عن فضلها, وأكشف لك عن محاسنها وأشرح لك لطيف معانيها, ومقالة الأطباء فيها, وتفنن الشعراء في وصفها حتى ترمقها بعين الجلالة, وتلحظها بمقلة الصيانة, فقد قال أبوك الرشيد رضى الله عنه:

أحسن الفاكهة التفاح, اجتمع فيه الصفرة الدرية, والحمرة الخمرية, والشقرة الذهبية, وبياض الفضة ولون التبر, يلذ بها من الحواس: العين بهجتها, والأنف بريحها, والفم بطعمها. وقال أرسطاطاليس الفيلسوف عند حضوره الوفاة, واجتمع إليه تلاميذه: التمسوا لي تفاحة أعتصم بريحها, وأقضى وطرى من النظر غليها. وقال إبراهيم بن هانئ: ما علل المريض المبتلى, ولا سكنت حرارة الثكلى, ولا ردت شهوة الحبلى, ولا جمعت فكرة الحيران, ولا سلت حسيفة الغضبان, ولا تحيت الفتيان في بيوت القيان, بمثل التفاح. والتفاحة يا أمير المؤمنين, إن حملتها لم تؤذك, وان رميت بها لم تؤلمك وقد اجتمع فيها ألوان قوس قزح, من الخضرة والحمرة والصفرة, وقال فيها الشاعر:

حمـــرة التفـــاح مـــع خضـــرته	أقـرب الأشـياء مـن قـوس قـزح
فعلـــى التفـــاح فاشـــرب قهـــوة	واســـــقنيها بنشــــاط وفـــــرح
ثم عــــن الآن كــــي تطــــربني	طرفـك الفتـان قلـبي قـد جـرح

فإذا وصلت غليك يا أمير المؤمنين, فتناولها بيمينك, واصرف إليها يقينك, وتأمل حسنها بطرفك, ولا تخدشها بظفرك, ولا تبعدها عن عيبك, ولا تبذلها لخدمك, فإذا طال لبثها عندك, ومقامها بين يديك. وخفت أن يرميها الدهر بسهمه ويقصدها بصرفه, فتذهب بهجتها, ويحيل نضرتها, فكلها: هنيئا مريئا غير داء مخامر والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فقال المأمون احملوا غليها من كل ما أهدى لنا في هذا اليوم.

***

وكتب العباس الهمذاني إلى المأمون في يوم نيروز:

أهـــدى لـــك النـــاس المـــرا كـــب والوصـــائف والـــذهب

وهـــديتى حلـــو القصـــا ئـــد والمـــائح والخطـــب

فاســـلم ســـلمت علـــى الزمـــا ن مـــن الحـــوادث والعطـــب

٥- كتاب الوزراء والكتاب لأبي عبد الله مُحَمَّد بن عبدوس الجهشياري (المتوفي ٣٣١ هـ) طبعة السقا والأبياري وشلبي. مصر ١٩٣٨ وكان بمصر قوم يدافعون بالخراج, ويكسرون بعضه, فأحضر عمر أشدهم مدافعة وإلطاطا, فطالبه, فاستمهله مدة فأمهله, ثم طالبه ثانية, فاستمهله, فأمهله مدة, ثم فعل ذلك في الثالثة, فلما حل الأجل دافعه أيضا, فخلف بأيمان مؤكدة أنه لا يستأديه إلا في بيت المال بمدينة السلام, ثم أشخصه على الرشيد, وكتب إليه بخبره, فبذل له الرجل أداء المال, فأبى عليه أن يقبضه منه, وأقام على ألا يؤديه إلا في بيت المال, فخاف الناس جميعا منه مثل ذلك, وسارعوا إلى الأداء, فلم ينكسر له ولا تخلف درهم واحد. وحكى أنه قال لغلامه أبى درة. وقد أهدى له أهل مصر هدايا كثيرة لا تقبل منها إلا ما يدخل في جراب, لا تقبل حيوانا, فقبل من هدايا الناس الثياب والطيب والعين والورق, وجعل يعزل كل هدية على حدتها, ويكتب عليها اسم صاحبها, وجد في استخرج مال مصر, فزجا منه نجمان, وتأخر النجم الثالث, وثلج أصحابه, فجمعهم وقال لهم. إنى قد حفظت عليكم ما أهديتموه إلى, وأمر بإحضاره وإحضار الجهبذ فما كان من عين أو ورق أجزأه عمن أهداه إليه وما كان من ثوب أو غيره باعه وأخذ ثمنه, حتى

استغرق الهدايا كلها, ونظر فيما بقى بعد ذلك, فطالب به, فسارع الناس إلى الأداء, فيقال إنه عقد جماعة مصر من غير أن يبقى فيها درهم, ولم يعهد ذلك من قبله.

***

وكان البرامكة قد فارقوا الرشيد على شيء يطلقونه له من المال للحوادث, سوى نفقاته وما يحتاج إليه هو وعياله, فعزم على الفصد, فقال لجعفر: يا أخي أنا على الفصد, وأريد التشاغل بالنساء, فكم تبعث إلى لما أهيئه لهن؟ قال: ما شاء أمير المؤمنين, قال عشرة آلاف درهم, قال: وأين المال؟ ولكن خمسة آلاف درهم, قال: فهاتها, فبعث بها إليه, ثم قال لجلسائه وقد افتصد: أي شيء تهدون إلى؟ فقال كل واحد منهم: قد أعددت كذا وكذا, واحتال الفضل بن الربيع في التخلص إلى منزله, فرهن حقه من قطيعة الربيع, وهو العشر, على مائة ألف درهم عند عون الجوهرى الحرى, فقال إنى أريد أن أهديها على الخليفة, فصيرها جددا ضربا, في عشرين بدرة ديباج, مختمة بفضة, وكان عون يحفظ للربيع يدا, فقال للفضل: أطابت نفسك عن جميع نعمتك في هدية اليوم؟ فأعلمه أن له عند الرشيد مواعيد, فقال له عون: فإن عندي خادمين مملوكين روميين, أحدهما ناقد, والآخر وزان, جميلي الصورة مراهقين وقد وهبتهما لك, وأحضره تابوت آبنوس محلى بالفضة, فصير البدور فيه مع الطيارات والموازين والصنجات, وأقفله بقفل فضة, وغشاه بديباج, وكسى الغلامين الديباج, وألبسهما المناطق والمناديل المصرية, ووجه بهما وبالتابوت مع من يحمله إلى دار الندماء, فلما ثنى الرشيد الدم قال: اعرضوا على هداياكم, فقدمت

هدية يحيى وجعفر والفضل بن يحيى, من فاكهة ومشام, وما أشبه ذلك, وعرض عيسى بن جعفر وغيره هداياهم, فقال للفضل بن الربيع. أين هديتك يا عباسي؟ وبذلك كان يدعوه, قال: أحضرها يا أمير المؤمنين, فقال تجده قد ابتاع هدية بخمسين درهما, فقال للفراشين: احملوها, فحملوا شيئا راع الرشيد لما رآه, وكشفوا عن التابوت فاستحسنه ثم حضر الغلامان, فتح أحدهما القفل فأخرج الموازين والأوزان, وأخرج الآخر البدور, ففتح بدرة بدرة, واستوفي وزنها وختمها, فلم يدر الرشيد ما يستحسن من جلالة الهدية واستطير فرحا, وأمر بحمل المال, وإدخال الغلامين إلى دار النساء, ليفرقا المال على ما يأمرهما به. وقال للفضل: ويلك يا عباسي! من أين لك هذا؟ قال: سيعرفه أمير المؤمنين, قال: لتقولن. قال: بعت حقي من قطيعة الربيع لأسرك, لما رأيتك قد فصدت وأنت مغموم, قال: والله لأسرنك, وقام فدخل.

وانصرف جعفر يجر رجليه إلى أبيه, فحدثه الحديث, فكتب كتب الفضل على بريد الموصل وديار ربيعة وديار مضر وختمها, وبعث بها إليه فردها, وقال: لا حاجة بي إليها. ولم يزل يحمل الرشيد عليهم حتى أوقع بهم.

٦- أدب الكتاب تأليف أبي بكر مُحَمَّد بن يحيى الصولي (المتوفي ٣٣٦ ﻫ) المطبعة السلفية -مصر ١٣٤١ ﻫ

وأهدى بعض الكتاب غلاما كاتبا على رئيس له, وكتب إليه بصفة الخط وغيره- وسمعت من يحكى أن فاعل ذلك عيسى بن فرخانشاه بإبراهيم بن العباس الصولي وكان عيسى يكتب له ولا أدرى كيف صحته, لأني لم

اعتد بما لم اسمعه من أفواه الرجال:

اقبـــــل هديـــــة شـــــاكر تجزيـــــه بالنـــــزر الجلـــــيلا

بـــــدرا يضـــــئ إذا نظـــــر ت إليـــــه لم يألـــــف أفـــــولا

إني بعثـــــت بـــــه وكـــــن ت بحســـــن موقعـــــه كفـــــيلا

لمـــــا رأيـــــت بخطـــــه حســـــنا يصـــــيد بـــــه العقـــــولا

كمنمـــــنم الموشـــــى قـــــد ســـــحب القيـــــان بـــــه الـــــذيولا

أو كـــــالرياض بكـــــى الحيـــــا فيهـــــا فأوســـــعها همـــــولا

وتـــــراه للمعـــــنى اللطيـــــف إذا أشـــــرت بـــــه قبـــــولا

لا مســـــتعيدا منـــــك إذ تملـــــى عليـــــه ولا ملـــــولا

عـــــرف المبـــــادئ والوصـــــو ل مـــــن الحاكيـــــة والفصـــــولا

وصـــــنوف ترتيـــــب الـــــدعا وأن يقصـــــر أو يطـــــيلا

والهمـــــز والمـــــدود وال مقصـــــور والمثـــــل المقـــــولا

والفعـــــل والأسمـــــاء وال مصـــــروف منـــــا والثقـــــيلا

فاســـــتكفه واضـــــمر لـــــه أن لا تريـــــد بـــــه البـــــديلا

يحمـــــل بفضـــــل لســـــانه وبيانـــــه عنـــــك الثقـــــيلا

***

واستهدى أحمد بن إسمعيل دفترا فيه حدود الفراء, فأهداه على مستهديه وكتب على ظهره:

خـــذه فقـــد ســـوغت فيـــه مشـــبها بالـــروض أو بالـــبرد في تفويفـــه

نظمت كما نظم السحاب سطوره | وتأنق الفراء في تأليفه
وشكلته ونقطته فأمنت من | تصحيفه ونجوت من تحريفه
بستان خط غير أن ثماره ... | لا تجتنى إلا بشكل حروفه

***

أهدى رجل إلى إبراهيم بن المدبر قلما وكتب إليه: قد وجهت إليك أعزك الله بمفاتح العلوم باد جمالها. تام كمالها. فهي كما قال الشاعر:

ليس فيها ما يقال له | كملت لو أن ذا كملا
كل جزء من محاسنها | كائن من حسنه مثلا

قال أبو بكر: أما المشهور مما قيل فيها فشعر بعض الكتاب وقد أهدى دواة محلاة بذهب وهي من الأبنوس:

قد بعثنا لك أم المنايا | والعطايا زنجية الأحساب
تتزيا بصفرة وكذا الزن | ج تزيا عجبا بصفر الثياب
ريقها ريق نحلة مع صاب | حين يجرى لعابها في الكتاب
في حشاها لغير حرب حراب | هن أمضى من مرهفات الحراب

***

وفي كتاب الأوراق للصولي (أخبار الراضي بالله والمتقى لله) طبعة القاهرة ١٩٣٥: ووافي رسول ملك الروم بهدايا كثيرة منها صياغات وثياب ديباج ومقارم وآنية ذهب, طريفة الصياغة, فجلس الراضي يوماً فعرضها علينا ووهب لنا أكثرها, وما كان شيء ألذ عنده من شيء يهبه وطعام يؤكل

بين يديه.

٧- ديوان المعاني للإمام أبي هلال العسكري (المتوفي ٣٩٥ هـ) مكتبة القدسي بمصر ١٣٥٢ وأخبرني بعض أصحابنا قال كتب أحمد بن أبي طاهر على إسماعيل بن بلبل: أنا, وإن كنت في عدد الحشم والأتباع الذين يخرجون من تفضيل الخاصة ويرتفعون عن الدخول في جملة العامة فإني في وسط القلادة منهم وبمكان من نظام نعمتك التي تجمعهم وهذا يوم من أيام الملوك السادة الذين لم تزل تجرى لهم السنة على عبيدهم وأصحابهم وقوادهم وكتابهم بالإهداء إليهم وقبول ما أهدوه منهم ليعرف مكان الشريف في مرتبته من مكان المنحط عن منزلته وموضع النعم من المنعم عليه في التقدم بقبول ما يهديه إليه وكل يهدى على قدر بضاعته ورتبته ومقداره في نفسه وهمته وعلى حسب موضعه من سيده ومالكه وما يحويه ملكه وتبلغه ومقدرته. وكرهت أن أمسك عن البر فأخرج عن جملة العبيد والحشم وأهدى ما يقصر عن الواجب اللازم والحق المفترض فجعلت هبتي مع الثقة بعذرك والاعتماد على تفضيلك وصفحك أبياتا اقتصرت فيها على الدعاء لك والثناء عليك أسأل الله تعالى أن يقرنه بالإجابة فيك كما قرن مدحي لك بالتصديق فقلت:

أبا الصقر لا زالت من الله نعمة تجددها الأيام عندك والدهر

ولا زالت الأعياد تمضى وتنقضي وتبقى لنا أيامك الغرر الزهر

فإنك للدنيا جمال وزينة وإنك للأحرار ذخر هو الذخر

رأيــت الهــدايا كلهــا دون قــدره ... ولـيس لشــيء عنــد مقــداره قــدر

فلا فضل غلا وهو من فضل جوده ... ولا بــر غــلا دونــه ذلــك الــبر

فأهـديت مـن حلـى الـديح جـواهرا ... منصــلة يزهــي بها الــنظم والنثــر

مـدائح تبقـى بعـد مـا نفـد الـدهر ... وتبهـي بها الأيام مـا اتصـل العمـر

شــكرت لإسماعيــل حســن بــلاه ... وأفضـل مـا تجـزى بـه الـنعم الشـكر

* * *

أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر عن ابن هفان قال: دخلت على سعيد بن حميد في يوم نيروز وهو مستعد يكتب على إخوانه فقرأت عليه كتابك وشعرك إلى أبي الصقر –يعنى الكتاب والشعر الذي تقدم– فكتب وأنا حاضر على الحسن بم مخلد: أيها السيد النجيب عشت أطوال الأعمار في زيادة من النعم موصولة بقرائنها من الشكر لا تقضى حق نعمة تتجدد لك أخرى ولا يمر بك يوم إلا كان موفيا على ما قبله مقصرا عما بعده. قد تصفحت أحوال الأتباع الذين تجب عليهم الهدايا على السادة في هذا اليوم والتمست التأسي بهم في الإهداء إليك وإن قصرت الحال عن الواجب لك فرأيتني إن أهديت نفسي فهي لك لا حظ فيها لغيرك ورميت بطرفي على كرائم مالي فوجدتها منك فكنت إن أهديت شيئا كمهدي مالك إليك ولم يزد على أن نبه على نعمتك واقتضى نفسه بشكرك وفرغت إلى مودتي وشكري فوجدتها لك خالصتين قديمتين غير مستجدتين وإني إن جعلتهما هديتي لم أجدد لهذا اليوم برا ولا لطفا ولم أقس منزلة شكري بمزلة من نعمتك إلا كان الشكر مقصرا عن الحق زائدة على ما

لم تبلغه الطاقة ولم أملك سبيلا ألتمس بها ما اعتد به في مجازاتك غلا وجدت فضلك قد سبقني غليها فقدم لك الحق وأحرز لك السبق فجعلت الاعتراف بالتقصير عن حقك هدية غليك تفي ما يجب لك والعذر في العجز عن برك برا أتوصل به إليك:

إن أهـــد نفســـي فهـــو مالكهـــا ولـــه أصـــون كـــرائم الـــذخر
أو أهـــد مـــالا فهـــو واهبـــه وأنا الحقيـــق عليـــه بالشـــكر
أو أهـــد شـــكري فهـــو مـــرتهن بجميـــل فعلـــك آخـــر الـــدهر
والشـــمس تســـتغني إذا طلعـــت أن تستضـــاء بســـنة البـــدر

ثم قرأه على فقلت: أبا عثمان الساعة قرأت عليك لابن أبي طاهر هذه المعاني بأعيانها قال: والساعة عملتها وليس بيننا حشمة. ولا اعرف لها تين الرسالتين في هذا الباب نظيرا في رقة معانيهما وحسن تخريجهما. ورسالة سعيد بن حميد أكثرهما معاني.

* * *

وأول من افتتح المكاتبة في التهاني بالنيروز والمهرجان أحمد بن يوسف, أهدى إلى المأمون سفط ذهب فيه قطعة عود هندي في طوله وعرضه. وكتب معها هذا يوم جرت فيه العادة بألطاف العبيد للسادة وقد قلت:

على العبد حق فهو لا شك فاعله وإن عظم المـولى وجلـت فضـائله
ألم تـــرنا نهـــدى إلى الله مالـــه وإن كـان عنـه ذا غـنى فهـو قابلـه
ولـو كـان يهـدى للقليـل بقـدره لقصـر عـل البحـر عنـك وناهلـه

ولكننـــا نهـــدى إلى مــــن نجلـــه وإن لم يكــن في وســعنا مــا يشــاكله

فأخذ سعيد بن حميد هذه المعاني وكتب إلى لبن صالح بن يزداد: النفس لك والمال منك والرجاء موقوف عليك والأمر مصروف إليك فما عسانا أن نهدى لك في هذا اليوم وهو يوم قد شملت فيه العادة للأتباع الأولياء بإهدائهم على السادة العظماء وكرهنا أن نخليه من سننه فنكون من المقصرين أو ندعى أن في وسعنا ما يفي بحقك علينا فنكون من الكاذبين فاقتصرنا على هدية تقضى بعض الحق ونقوم عندك مقام أجمل البر وهي الثناء الجميل والدعاء الحسن فقلت: لا زلت أيها السيد الكريم دائم السرور والعطية في أتم العافية وأعلى منازل الكرامة تمر بك الأيام المفرحة والأعياد الصالحة فتخلقها وأنت جديد.

فأول كلامه مأخوذ من قول المعلى بن أيوب للمعتصم: النفس لأمير المؤمنين والمال منه وليس فيما أوجبه الحق نقيصة ولا على أحد فيه غضاضة, وباقيه من كلام أحمد بن يوسف, والدعاء الذي في آخره لعلى بن عبيدة الريحاني لم يزد سعيد بن حميد فيه شيئا.

* * *

كتب أبو الشيص على رجل كان وعده مخدة فأبطأت عليه:

يا صـــــــديقي وأخـــــــي في كـــــل مــــا يعــــرو وشـــــده
ليـــت شـــعري هـــل زرعـــتم بـــــذر كتـــــان المخـــــده

* * *

وأخبرني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر قال أهدى بعض العمال على دعبل بن على الخزاعي برذونا زمنا فرده وكتب إليه:

وأهديتـــــه زمنــــا فانيــــا فــــلا للركــــوب ولا للــــثمن

حملـــت علـــى زمـــن شـــاعرا فســـوف يكـــافي بشـــعر زمـــن

أبا الفضـــل ذمـــا وغرمـــا معـــا فمـــا كنـــت ترضـــى بهـــذا الغـــبن

* * *

وعدد رجل دعبلا نعلا يهديها إليه عند قدمه من الحج فأبطأت عليه فقال دعبل الخزاعي:

وعـــدت النعـــل ثم صـــدفت عنهـــا كأنـــك تشـــتهي شـــتما وقـــذفا

فـــإن لم تهـــد لى نعـــلا فكنهـــا إذا أعجمـــت بعـــد النـــون حرفـــا

* * *

وأخبرني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر قال كتب إلى أبو على البصير بستهديني بخورا كنت أهديت منه إلى بعض إخواني, والأبيات:

يا شـــــقيقي ويا خليلـــــي إباء المرجـــى لكـــل خـــير ومـــير

أنـــت مـــن أطيـــب الأنام بخـــورا غـــير أني شممتـــه عنـــد غـــيري

وهـــو جـــم لـــديك فابعـــث بـــدرج منـــه إن لم أكـــن تعـــديت طـــوري

فكتبت إليه:

قـــد بعثنـــا إليـــك منـــه بـــدرج | وأزرناك منــــــــه أطيــــــــب زور
بـــين نـــد وبـــين عـــود مطـــرا | مــا لـــه مشـــبه بنجـــد وغـــور
أنـــت منـــه أزكـــى وأطيـــب عرفـــا | وهـــو أزكـــى مـــن كـــل طيـــب ونـــور
مــا تعــديت فيــه طــورك عنــدي | فتبخــــر منــــه بأيمــــن طــــير

* * *

وحدثني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد قال حدثني أبو دعامة الشاعر قال كتب العتابي إلى مالك بن طوق يستزيده ويستهديه ويدعوه على صلة الرحم والقرابة بينه وبينه وكان مما كتب: إن قرابتك من قرب منك خيره وإن ابن عمك من عم نفعه وإن عشيرتك من أحسن معاشرتك وإن أحب الناس إليك أجداهم بالمنفعة عليك وإن أهداهم إلى مودتك من أهدى إليك, ولذلك أقول:

ولقـــد بلـــوت النـــاس ثم ســـبرتهم | ووصـلت مـا قطعـوا مـن الأسـباب
فـــإذا القرابـــة لا تقـــرب قاطعـــا | وإذا المـــودة أقـــرب الأنســـاب

٨- اللطائف والظرائف في الأضداد –للثعالبي (المتوفي ٤٢٩ هـ) جمع بينه وبين اليواقيت الإمام أحمد المقدسي طبع بمصر ١٣٣٤ هـ

باب مدح الهدية

في الخبر المرفوع: (تهادوا تحابوا) , وفيه (تصافحوا فإن التصافح يذهب غل الصدور, وتهادوا فإن الهدية تسل السخيمة) . قال الشاعر:

إن الهدية حلوة كالسحر تجتلب القلوبا
تدني البعيد من الهوى حتى تصيره قريبا
وتعيد معتضد العدا وة بعد نفرته حبيبا

وقال ابن عائشة: الهدية سنة الله -ﷺ- وأدب الملوك وعمارة المودة بين الإخوان. وكان يقال: أهدوا للولاة فإنهم إن لم يقبلوا أحبوا. وكان الفضل بن سهل ذو الرياستين يقول: ما أرضى الغضبان, واستعطف السلطان, ولا سلت السخائم, ولا رفعت المغارم, ولا استميل المحبوب, ولا توقى المحذور بمثل الهدية. ومن أحسن ما قيل في الإهداء إلى الملوك قول أحمد ابن يوسف المأموني:

على العبد حق لا بد فاعله وإن عظم المولى وجلت فضائله
ألم ترنا نهدى إلى الله ماله وإن كان عنه ذا غنى فهو قابله

وكتب بعض الكتاب إلى صديق له: وجدت المودة منقطعة ما دامت الحشمة عليها مسلطة, وليس يزيل سلطان الحشمة إلا المؤانسة, ولا تقع المؤانسة إلا بالمهاداة والملاطفة.

* * *

وكتب أبو العيناء إلى بعض الوزراء: قد بعثت إلى الوزير بباكورة عنب, فإن كنت سبقت المهدين لها فلي فضل السبق, وإن كنت مسبوقا فلي فضل النية. ويقال: من قدم هديته نال أمنيته, ومن قدم المئونة ظفر بالمعونة. وقال بعض السلف: نعم الشيء الهدية أمام الحاجة. وقال آخر: الهدية تفتح الباب المغلق. وقال آخر: الهدايا تذهب الشحناء. والهدية رزق الله فمن

أهدى إليه فليقبله. وقال بعض العلماء: لعظم خطر الهدية وجلالة قدرها على وجه الدهر قالت ملكة سبأ: (وإني مرسلة غليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون) وقال الشاعر:

للهـــــدايا في القلـــوب مكــــان وحقيـــــق بحبهـــــا الإنســــــان

وقال الشاعر:

إذا دخــــل الهديــــة دار قــــوم تطـــايرت العـــداوة مـــن كواهـــا

باب ذم الهدية

أهدى إلى عمر بن عبد العزيز هدية فردها فقيل له: إن النبي –صلى الله عليه وسلم– كان يقبلها فقال: كانت له الهدية هدية وهي لنا رشوة, وقد لعن الله الراشي والمرتشي والرائش. وقال بعض السلف: الهدية للعامل غلول, وفي عمل السلطان رشوة. وأهدى على دهقان هدية فكرهها وأظهر الجزع فعاتبه بعض من صاحبه, فقال: لئن كان ابتدائي بها إنه ليدعوني إلى أن أتقلد منه منة, ولئن كافأني على معروف لي عنده إنه ليسألني أخذ ثمن ذلك, فمن أي هذين لا أجزع! ٩– ثمار القلوب في المضاف والمنسوب –للثعالبي

القاهرة ١٣٢٦١٩٠٩ م

طيلسان ابن حرب –كان مُحَمَّد بن حرب أهدى إلى الحمدوني طيلسانا خلقا, وكان الحمدوني يحفظ قول أبي حمران السلمي في طيلسانه وهو: يا طيلسان أبي حمران قد برمت ... بك الحياة فلا تلتذ بالعمر فاحتذى حذوه وانسالت عليه المعاني حتى قال في وصف الطيلسان قرابة

مائتي مقطوعة ولا تخلو واحدة منها من معنى بديع. وصار الطيلسان عرضة لشعرة ومثلا في البلاء والخلوقة والانخراط في سلك حمار طياب وشاة سعيد وضراطة وهب -المتقدم ذكر كل منها- فمن نوادر ما قال فيه:

يا ابـــن حـــرب كســـوتني طيلســـانا مـــل مـــن صـــحبة الزمـــان وصـــدا

طـــال تـــرداده إلى الرفـــو حـــتى لـــو بعثنـــاه وحـــده لتهـــدى

١٠- التمثيل والمحاضرة للعلامة أبي منصور الثعالبي النيسابوري آخر:

للهـــدايا مـــن القلـــوب مكـــان وحقيـــق بحبهـــا الإنســـان

آخر:

إن الهديـــــــة حلـــــــوة كالســـــحر تجتلـــب القلـــوبا

تـــدني البعيـــد مـــن الهـــوى حـــــتى تصـــــيره قريبـــــا

آخر:

رويـــت في الســـنة المشـــهورة البركـــه أن الهديـــة في الإخـــوان مشـــتركه

١١- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء لأبي القاسم حسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهاني (المتوفي ٥٠٢ هـ) القاهرة ١٢٨٧ هـ

ومما جاء في الهدايا

(الحث على الإهداء وذكر فضيلته) قال النبي ﷺ: (تهادوا تحابوا) وقال: (الهدية تسل السخيمة) وقال عمر رضي الله عنه: نعم الشيء الهدية بين يدي الحاجة. وفي الخبر (إذا قدم أحدكم من سفر فليهد على أهله وليطرفهم وإن حجارة) وقيل: "اسكفة الباب تضحك من الهدية". وقيل: "الهدية هداية".

وقال:

مـا مـن صـديق وإن تمـت صـداقته يومـا بأنجـح في الحاجـات مـن طبـق

لا تكـذبن فـإن النـاس مـذ خلقـوا عـن رغبـة يعظمـون النـاس أو فـرق

أمـا الفعـال ففـوق الـنجم مطلبـه والقـول يوجـد مطروحـا على الطـرق

آخر:

إذا أتــــت الهديــــة دار قــــوم تطــايرت الأمانــة مــن كواهــا

وقيل: "الهدية بضاعة تيسر الحاجة ومن صانع بالمال لم يحتشم". قال الغاضري لأصحابه: أي راكب أحسن؟ فقال بعضهم: تمرة على زبدة, فقال:

لا بل هدية على حمال. ومن أمثال الفرس: "الهدية تغالط العقول".

(الحث على قبول الهدية) قال النبي ﷺ: (إن الهدية رزق الله فمن أهدى إليه شيء من غير سؤال ولا إسراف فليقبه فإنما هو رزق ساقه الله إليه) وقال: (من سألكم بالله فأعطوه ومن استعاذكم فأعيذوه ومن أهدى إليه كراع فليقبله) .

وقال: (لو أهدى على كراع لقبلت ولو دعت على كراع لأجبت) . (الحث على المقابلة) قال الله تعالى: (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) .

فسره بعضهم بالهدية وجعل الثواب بها واجبا. وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية ويثيب علبها ما هو خير منها. أنشدني بعضهم:

رأيــت النــاس طــرا في الهــدايا كبيــع الســوق خــذ مــنى وهــات

(طلب الهدية ومعاتبة من تركها) روى أن رجلا أهدى إلى الحسن والحسين رضي الله عنهما ولم يهد إلى ابن الحنيفة فأنشأ أمير المؤمنين على ﷺ يقول:

ومـــا شـــر الثلاثـــة أم عمـــرو	بصـــاحبك الـــذي لا تصـــحبينا

* * *

وكتب رئيس على بعضهم: لا تهدين ما يجحف بحالك فإنه لا يزيد في مالي ولا يمنعك من ملاطفتي بيسير, واللطف استعظامك لمكاني فالكثير منك يسير واليسير عندنا كثير والسلام. المعيطي:

أتاني أخ مـــن غيبـــة كـــان غابهـــا	وكنـت إذا مـا غـاب أنشـده الركبـا
فجـــاء بمعـــروف كثـــير فدســـه	كمـا دس راعـى السـوء في حضـنه
فقلـــت لـــه: هـــل جئتـــني بهديـــة	فقال: بنفسي, قلت: أطعمتها الكلبا
هـي الـنفس لا أرثـى لهـا مـن ملمـة	ولا أتمـــنى إن نأيـــت لهـــا قـــربا

* * *

(الهدية مشتركة) قال النبي ﷺ: (إذا أتى أحدكم بهدية فجلساؤه شركاؤه فيها) , وكان الهيثم بن عدى يحدث بهذا الحديث فما تم حتى طلعت هدية فقال ما خلا هذه.

(نهي الولاة عن قبول الهدية) صعد النبي ﷺ المنبر فقال (ما بال أقوام استعملتهم على الصدقات فيجئ أحدهم فيقول هذا مالكم وهذا أهدى على هلا جلس في حفش أمه فينظر أيهدى إليه والذي نفسي بيده لا يأخذ

أحد منكم شيئا بغير حقه إلا لقي الله بحمله فليأتين أحدكم وعلى رقبته بعير له رغاء وبقرة لها خوار وشاة لها ثغاء ثم رفع يده وقال اللهم قد بلغت) . وروى: إياكم والهدية فإنها ذريعة الرشوة. ولعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي. قال الشيخ: وقد ذكرت خبر أنو شروان مع غيره في مثل هذا الباب في الولايات.

* * *

(الممتنع من أخذ الهدية) سأل رجل الخيرزان حاجة فاستبطأها فأهدى إليه هدية فكتب إليه إن كان ما وجته ثمنا لرأيي فيك فقد بخستني في القيمة وإن كان استزادة فقد استغششتني في النصيحة.

وقال المدائني: أهدى رجل إلى مجوسي هدية فاغتم لذلك فقيل له فقال لئن ابتدأني: أهدى رجل إلى مجوسي هدية فاغتم لذلك فقيل له فقال لئن ابتدأني بها فإنه يدعوني إلى أن أتقلد منه منة ولئن كافأني على معروف عنده إنه ليروم أخذ ذلك فمن أي هذين لا أجزع.

وطلب عبد الله بن جعفر لأزادمرد حاجة من أمير المؤمنين ﷺ فأهدى إليه أزادمرد أربعين ألف درهم فامتنع عبد الله من أخذها وقال إنا أهل بيت لا نأخذ على معروفنا ثمنا.

وأهدى عبد الله بن السري على عبد الله بن طاهر لما ولاه مصر مائة وصيفة مع كل واحدة بدرة وبعثها إليه ليلا فردها وكتب إليه لو قبلت هديتك قبلتها نهارا (فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون) . (من لان بعد لأخذ هدية) مر زياد بأبي العريان بالبصرة فقال من هذا فقالوا

زياد بن أبي سفيان فقال ما أعرف في ولد أبي سفيان زيادا فبلغه ذلك فوجه غليه دنانير ثم مر به فقال من هذا فقالوا زياد بن أبي سفيان فقال لقد ذكرني شمائل أبي سفيان فبلغ ذلك معاوية ﷺ فكتب إليه:

مـا لبثتـك دنانـير رشـيت بهـا أن لونتـك أبا العـريان ألـوانا

لله در زياد منـذ قـدمها كانـت لـه دون مـا يخشـاه قـربانا

فكتب له:

ابعـث لنـا صـلة تحيـا النفـوس بهـا قـد كـدت يا ابـن أبي سـفيان تنسـانا

مـن يسـد خـيرا يجـده حيـث يجعلـه أو يسـد شـرا يجـده حيثمـا كـانا

أمـا زياد فـلا أنسـيت نسـبته ولم أرد بالـذي حاولـت بهتـانا

* * *

ولما ولى الحسن بن عمارة المظالم قيل ذلك للأعمش فقال ظالم ولى المظالم فأهدى إلى الأعمش رزمة ثياب فجعل يقول من بعد: إن الحسن كريم وحر سخي. وكان رؤية له حكومة فلم يكن يبلغ مراده فيها فأهدى لي الحاكم شيئا فنال ما رام فقال:

لمـا رأيـت الشـفعاء بلـدوا أسـوتهم برشـوة فقـردوا

وسهل الله بها ما شددوا

وكان بعض الولاة يخاشن بعض عماله فأضاه بما أهداه فسألته كيف حالك مع فلان فقال قد سد ابن بيض الطريق. وخبره معروف. (استرداد ظروف الهدايا وتركها) : قال الغنوي: استيموا الهدايا برد الظروف,

وقال إسحاق بن إبراهيم: كنت مع الرشيد بالكوفة في شهر رمضان فقال لموسى ابن عيسى يا أبا عيسى حلواؤنا عليك وكان يوجه إليه كل ليلة عشر صحاف فلما كان بعد عشر ليال قطعها قال له الرشيد أصفوت فقطعت الحلواء فقال ما قطعها غيرك إن أنصفت قال كيف؟ قال إن من يأخذها منا لا يرد صحفة ولا منديلا ولا طبقا قال بئس ما عمل إن الهدايا تستدام برد الظروف فإذا صرت المتقاضى وأنت القاضي فلا تحتشم أحدا في استرداد الظروف. للصاحب وقد أهدى دنانير على طبق فضة فكتب بأبيات فيها:

والظرف يوجب أخذه مع ظرفه.

(الاعتذار من إهداء شيء طفيف) كتب بعضهم: سهل لي سبيل الملاطفة فأهديت هدية من لا يحتشم على من لا يستغنم. كتب أحمد بن يوسف: للهدية معنيان كلاهما يوجب القبول وإن قل. وقيل إن كان لك عند المهدي يد فلا تستقصر بمزيدك وإن كان مبتدئا فالتفضل لا يستقل. الهدية أظرفها أخفها وأقلها أنبلها. وكتب آخر: قدمت المعذرة في إهداء ما اتسعت به المقدرة.

وروى أن سليمان عليه الصلاة والسلام مر بعش قنبرة فأمر الريح أن تتجنب عشها الذي فيه فراخها فجاءت القنبرة لما نزل سليمان فرفرفت على رأسه وألقت جرادة هدية له لما فعل فقال سليمان: هي مقبولة فكل يهدى على قدر وسعه. ومما يروى لأبي يوسف القاضي:

علينا بأن نهدى إلى من نحبه ... وإن لم يكن في وسعنا ما يشاكله

ألم ترنا نهدى إلى الله ماله ... وإن كان عنه ذا غنى فهو قابله

دعبل: هذى هدية عبد أنت ملبسه ثوب الغنى فاقبل الميسور من خدمك

الخبزأرزي: تفضل بالقبول على إني بعث بما يقل لعبد عبدك

أهدى بعض الأدباء إلى المعتز شيئا وكتب إليه لا يعيب العبد أن يهدى إلى سيده القليل من نعمته عنده ولا السيد أن يقبل ذلك وإن كان الكل له, والسلام.

* * *

(المقتصر في الهدية على الشكر) قال المازني: أظرف من اعتذر للفقر واقتصر على الشكر في الإهداء أحمد بن إبراهيم كتب إليه ابن ثوابة:

إني جعلت هديتي في المهرجان إليك شكري

لما تعذر واجب فسح التعذر فيه عذري

فإذا مررت بذكر من جاءت هديته ببر

فادر على اسمي دارة واكتب عليه: أتى بعذر

مُحَمَّد بن أبي حكيم:

رأيت كثير ما يهدى قليلا لعبدك فاقتصرت على الدعاء

وقال آخر:

وافق المهرجان والعيد منى رقة الحال وهي داء الكرام

فاقتصرنا على الدعاء وفيه عون صدق على قضاء الذمام

* * *

(المقتصر على إهداء النفس) افتصد المتوكل فلم يبق أحد من جواريه وحشمه إلا أهدى إليه فأخبرت قبيحة بذلك وكانت معشوقته فتزينت ودخلت عليه فأنشدته:

طلبـــت هديـــة لـــك باحتيـــال على مـا كـان مـن حسـي وبسـي

فلمـــا أجـــد شـــيئا نفيســـا يكـــون هديـــة أهـــديت نفســـي

فقال المتوكل: نفسك والله أحب إلي.

عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:

حبيبي فصدت العرق من أجل علة فلـم تهـد لي فيـه وصـالا مجـددا

فأهديت نفسي يوم فصدى بوصلها إليك فخذها كي تكون لك الفدار

(استهداء النفس) كتب أبو العباس بن رشيد إلى صديق كان مشغوفاً به:

النـــاس يهـــدون إلى المفتصـــد أحســـن مـــا يلقونـــه في البلـــد

فاهـــد لي وجهـــك يا ســـيدي فإنـــه أحســـن شـــيء يـــرد

* * *

(المهدي شيئا معنيا) أهدى أبو عبادة الوزير على المأمون مصحفا في يوم مهرجان ووافق أول يوم من شهر رمضان فكتب إليه: عدلت عن هدايا السلطان إلى التيمن بالقرآن وما يرضى الرحمن, فوقع في رقعته: (فبأي آلاء ربكما تكذبان) .

وأهدى أحمد بن يوسف على المأمون هدايا وكتب غليه رقعة فلم

يستظرف من هديته شيئا إلا قوله في رقعته: هذا يوم جرت فيه العادة بألطاف العبيد للسادة. وبعث إبراهيم بن المهدي بجراب ملح وجراب أشنان وكتب معهما: قصرت البضاعة عن بلوغ الهمة فكرهت أن تطوى صحف البر خالية من ذكرى فبعثت بالمبدوء لبركته والمختوم به لنظافته والسلام. وشرب الرشيد دواء فأهدت غليه الخيرزان جارية بكرا معها جام كتب عليه:

إذا خـــرج الإمـــام مـــن الـــدواء   وأعقـــب بالســـلامة والشـــفاء

فلـــيس لـــه دواء غـــير شـــرب   بهـــذا الجـــام ينـــزغ بالطـــلاء

وفـــض الخـــاتم المهـــدي إليـــه   فهـــذا العـــيش مـــن بعـــد الـــدواء

وفض رجل إلى آخر قلنسوة ونعلا فقال لقد أشواني فلان بكسوته: أي أصاب شواي.

* * *

(ذكر الهدية بأنها أمارة لفضل صاحبها ونقصه) قيل: يعرف فضل المرء بفضل هديته وسخافته بسخافة بره. وقيل: ثلاثة تدل على عقول أربابها: الهدية والرسول والكتاب وقد حكى الله تعالى عن بلقيس أنها قالت (وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون) فجعلت جواب الهدية دلالة.

كشـاجم: إن هـدايا الرجـال مخـبرة   عـــن قـــدرهم قللـــوا أو احتفلـــوا

***

(المهدي هدية سخيفة) أهدى أبورهم السدوسي على قينة كان يتعشقها زنبيل بصل, فقال فيه ابن. المعدل: قالت جبل ماذا العمل هذا الرجل حين

احتفل أهدى بصل.

أهدى رجل إلى إسماعيل الطالبي فالوذجة عتيقة قد زنخت وكتب معها إني اخترت لعملها سكر السوس والعسل الماذي, والزعفران الأصفهاني, فكتب إليه: برئت من الله إن كانت هذه الفالوذجة قد عملت إلا قبل أن يوحى ربك على النحل. وأهدى أبو على البصير على أبي العيناء كرينجان قد كتب على كل واحدة منها (ادخلوها بسلام آمنين) فردها أبو العيناء وقد كتب عليها (فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن) وكان رجل قد شغف بصبي فأهدى غليه كلبا فقال أبو شبل:

ومـــا رأت عيـــني ولا قيـــل لي	أن فـــتى مســـتهترا صـــبا
لمـــا دنا مـــن وصـــل أحبابـــه	أهـــدى إلى أحبابـــه كلبـــا
الصـولي: أهـدى إلى هدية مذمومـة	وأذم منهـــا عنـــدنا مهـــديها
وكأنمـــا هـــي في سماحـــة منظـــر	تحكيـــه في قـــبح كمـــا يحكيهـــا

***

(الممتن بهدية أهداها) أهدى رجل على الأعمش بطيخة فلما أصبح قال يا أبا مُحَمَّد كيف كانت البطيخة؟ قال طيبة ثم أعاد عليه ثانيا وثالثا, فقال: إن خففت من قولك وإلا قئتها. وأهدى أبو الهذيل إلى أستاذ له ديكا فكان بعد ذلك إذا خاطبه أرخ بديكه فيقول: إنه كان يوم أهديت إليك الديك وإنه قبل الديك بكذا وبعد الديك بكذا.

وقدم زياد على معاوية وأهدى إليه هدايا كثيرة فأعجب بها معاوية فلما رأى زياد سروره بذلك قال يا أمير المؤمنين إني دوخت لك العراق وحبيت

لك برها وبحرها وغثها وسمينها وحملت لك لبها وسروها فقال له يزيد: أما إذا فعلت ذلك فقد نقلناك من ولاء ثقيف إلى شرف قريش ومن عبيد إلى أبي سفيان وما أمكنك تدويخ العراق إلا بنا, فقال معاوية: حسبك فداك أبوك ووريت زناده فيك.

(الشاكر المهدي إليه) :

أتتنا هدايا منه أشبهن فضله ومن علينا منعما متفضلا

ولو أنه أهدى على وصاله لكان إلى قلبي ألذ وأوصلا

١٢- درة الغواص في أوهام الخواص لأبي مُحَّد القاسم بن على الحريري (المتوفي ٥١٢ هـ) طبعة القسطنطينية ١٢٩٩ هـ ويقولون لهذا النوع من المشموم: سوسن, (بضم السين) فيوهمون فيه, كما أن بعض المحدثين ضمها فتطير من اسمه وكتب إلى من أهدى له:

لم يكفك الهجر فأهديت لي تفاؤلا بالسوء لي سوسنه

أولها سوء وباقي اسمها يخبر أن السوء يبقى سنه

والصواب أن يقال فيه سوسن (بفتح السين) , وكذلك يقال روشن (بفتح الراء) ليلحقا بما جاء على وزن فوعل نحو جوهر نحو جوهر وجورب وكوثر وتولب إذ ما سمع في أمثلة العرب فوعل (بالضم) إلا جؤذر في قول بعضهم.

١٣- بدائع البدائه لعلى بن ظافر الأزدي (المتوفي ٦٢٣ هـ) طبعة مصر ١٢٧٨ هـ وذكر عبد الرحمن بن نصر الدمشقي في كتابه المسمى بالتحفة والطرفة أن الوزير المزدقاني خرج للتنزه فرأى امرأة في بعض القصور

فأعجبته فوقف متأملا لها, فأشارت إليه, فآنس منها قبولا, فأرسل إليها رسولا يعلمها بشدة شوقه ووجده بها.

فردت رسوله ومعه تفاحة عنبر فيها زر من ذهب ولم تكلمه بشيء فلم يفطن هو ومن حضره لتأويل ذلك, فقال له ابنه أحمد: قد فهمت ما أرادت, ونظمه في الحال في بيتين وأنشد:

أهـــدت لـــك العنـــبر في جوفـــه زر مـــن التـــبر خفـــي اللحـــام

فـــالزر في العنـــبر معناهمـــا زر هكـــذا مختفيـــا في الظـــلام

١٤- التذكرة -لابن العديم (المتوفي ٦٦٠ هـ) مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٢٠٤٢ أدب كتب أحمد بن مهران الكاتب إلى رجل أهدى له أقلاما. ونقلت من خط على بن مقلة أو غيره حضور المعنى: "أكرمك الله بحبيب عليه الهوى, واللسان بينه وبين القلب مترجم عن النجوى, وقليل البر بخلوص المحبة يتجاوز الكثير منه مع ضعف المودة, وموقع اللطف كموقع صاحبه من النفس, فإذا خص بها لطف, وإذا نبت عنها جفا, وهذه أبيات في الأقلام التي وضعها بين يدى:

أهـــــدت إلى أنامـــــل أقلامـــــا كـــادت لرقتهـــا تكـــون مـــداما

تبـــدى حروفـــا بالضـــمير نواطقـــا وتكـــون مـــن دون الكـــلام كلامـــا

شـــبهتها قـــد أنحـــت فضاضـــة ونحافـــــة ولطافـــــة وســـــقاما

خرســـاء تكلـــم في الـــبلاد ولم تـــرم وتـــذيع عنـــك محبـــة وســـلاما

وتبـــث شـــكواك الحبيـــب إذا نأى وتـــرد نفرتـــه إليـــك غرامـــا

وتكـــاد رقـــة مـــا تخاطبـــه بـــه تجـرى كمـا جـرت الـدموع سـجاما

وتحمـــل القرطـــاس مـــا حملتـــه ســـيرا حيـــاة تارة وحمامـــا

تثـــنى قفـــا الخطـــى حـــد شـــباتها وتفـــل ســـيفا حـــين شـــيم حســـاما

١٥- وفيات الأعيان -لا بن خلكان (المتوفي ٦٨١ هـ) طبعة مصر ١٣١٠ هـ أبو منصور عبد الملك بن مُحَّد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري- وله في وصف فرس أهداه إليه ممدوحه:

يا واهـــب الطـــرف الجـــواد كأنمـــا قـــد أنعلـــوه بالـــرياح الأربـــع

لا شـــيء أســـرع منـــه إلا خـــاطري في وصـــف نائلـــك اللطيـــف الموقـــع

ولـــو أنـــني أنصـــفت في إكرامـــه لجـــلال مهديـــه الكـــريم الألمعـــي

أقضـــمته حـــب الفـــؤاد لحبـــه وجعلـــت مربطـــه ســـواد المـــدمع

وخلعـــت ثم قطعـــت غـــير مضـــيع بـــرد الشـــباب لجلـــه والبرقـــع

١٦- غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة لأبى إسحق إبراهيم الكتبي المعروف بالوطواط (المتوفي ٨١٨ هـ) طبعة مصر ١٢٨٤ هـ. ومما يورد من المحبة أعذب الموارد هدية يستعطف بها القلب الشارد قال رسول الله ﷺ: (تهادوا تحابوا وتذهب الشحناء) . وقال عليه الصلاة والسلام: (تهادوا فإن الهدية تذهب وغر الصدور) وكان ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها. وقال: (لو أهدى إلى كراع لقبلت ولو دعيت إلى كراع لأجبت) وقالت عائشة رضي الله عنها: "اللطفة عطفة تزرع في القلوب المحبة والإلفة" وفي الأثر: (الهدية تجلب المودة إلى القلب والسمع والبصر) شاعر:

إن الهديــــــــــة حلــــــــــوة	كالســــحر تجلــــب القلــــوبا
تــــدني البغـــيض مــــن الهـــوى	حــــــتى تصــــيره حبيبــــــا
وتعــــــدي مضــــــطعن العـــــدا	وة في تباعــــــــــده قريبــــــــا

ومن أمثالهم: إذا قدمت من سفر فأهد لأهلك ولو حجر. وقال الجاحظ: ما استعطف السلطان ولا استرضى الغضبان ولا أزيلت السخائم ولا استدفعت المغارم بمثل الهدايا, وقالوا: في نشر المهاداة طي المعاداة.

***

وقال ضياء الدين ابن الأثير في رسالة يذكر فيها الهدية: الهدية رسول يخاطب عن مرسله بغير لسان ويدخل على القلوب من غير استئذان وبهدية المرء يستدل على عقله كما ذكر: أن رجلا أهدى على قتادة نعلا رقيقة فجعل النعمان يرزنها بيده ويقول: يعرف قدر الرجل في سخف هديته اللهم إلا أن يهدى شيئا سخيفا حقيرا فيصيره بالاعتذار عنه شريفا خطيرا. كما فعل أبو العتاهية فإنه أهدى إلى الفضل بن الربيع نعلا وكتب له معها:

نعــــلا بعثــــت بهــــا لتلبســــها	قـــدم تســـير بهـــا علـــى المجـــد
لـــو كـــان يحســـن أن اشـــركها	جلـــدي جعلـــت شـــراكها خـــدي

وأهدى الأخيطل الأهوازي إلى ابن حجر في يوم نوروز طبقا فيه وردة وسهم ودينار ودرهم وكتب معه:

قل لابن حجر ذي السماح الخضرم	لا زلـــت كـــالورد نضـــير المبســـم

ونافـــذا مثـــل نفـــاذ الأســـهم في عـــز دينـــار ونجـــح درهـــم

وقال بعضهم: من امتنع من إهداء القليل لجلالة قدر المهدي إليه انقطعت سبل المودة بينه وبين إخوانه ولزمه الجفاء من حيث التمس الإخاء.

أبو العتاهية:

هـــــدايا النـــــاس لــــبعض تولـــــد في قلـــــوبهم الوصـــــالا

وتـــــــزرع في القلـــــــوب ودا وتكســـوهم إذا حضـــروا جمـــالا

آخر:

مـا مـن صـديق وإن تمـت صـداقته يومـا بأنجـح في الحاجـات مـن طبـق

إذا تلـــثم بالمنـــديل منطلقـــا لم يخـش نبـوة بـواب ولا غلـق

لا تكـذبن فـإن النـاس مـذ خلقـوا لرغبـة يكرمـون النـاس أو فـرق

وبالجملة إذا كانت من الصغير إلى الكبير فلطفت ودقت كان أبهي وأحسن، وإذا كانت من الكبير إلى الصغير فعظمت وجلت كان أوقع لها وأنجع.

***

أهدى يعقوب الكندي إلى بعض إخوانه سيفا وكتب معه: "الحمد لله الذي خصك بمنافع ما أهدى إليك فجعلك تهتز للمكارم اهتزاز الصارم, وتمضى في الأمور مضاء المأثور, وتصون عرضك بالإرفاد كما تصان السيوف في الأغماد, ويظهر دم الحياء في صفحة خدك المشروف كما يشف الرونق في صفحات السيوف, وتصقل شرفك بالعطيات كما تصقل متون

المشرفيات"

وأهدى الصابي دواة ومرفعا وكتب معهما: " قد خدمت مجلس مولانا بدواة يداوى بها مرض عفاته, ويروى بها قلوب عداته على مرفع يؤذن بدوام رفعته وارتفاع النوائب عن ساحته.

وأهدى أيضا على بعض الأصحاب فرسا وكتب معه: قد قدمت إليك فرسا والله تعالى يبارك لك فيه, ويجعل الخير معقودا بنواصيه والإقبال غرة وجهه, ونيل الأماني طلق شده, وفتح الفتوح غاية شأوه, وإدراك المطالب تحجيل قوائمه, وسلامة العواقب منتهي عنايه. والسلام.

(من أهدى هدية حقيرة واعتذر عنها) كتب بعضهم مع هدية حقيرة:

قبـــــول الهديـــــة أرومـــــة	وحاشـــــاك أن تـــــرد الكـــــرم
فـــإن الملـــوك علـــى قـــدرها	لتقبـــــل نشـــــابة أو قلـــــم

ابن التعاويذي:

هديـــة المـــرء تنـــبي عـــن مروءتـــه	وعـــن حقـــارة مهـــديها وخســـته
ومـــا يحـــيط مـــن المهـــدي إليـــه إذا	كانـــت محقـــرة عـــن قـــدر رتبتـــه
فـــاغفر جريمـــة مـــن خســـت هديتـــه	وتلـــك منـــه علـــى مقـــدار قدرتـــه

وكتب آخر مع هدية أهداها ليلا:

بعثـــــت عشـــــيا إلى ســـــيد	بمـــا هـــو مـــن خلقـــه مقتـــبس
هديـــة خـــل صـــحيح الإخـــاء	جـــرى منـــه ذكـــرك مجـــرى الـــنفس

فجـــــد بالقبـــــول وأيقـــــن بأن لفــرط الحيــاء أتــت في الغلــس

آخر:

يأيهـــــا المـــــولى الـــــذي عمـــــت أياديـــــه الجميلـــــة

أقبــــل هديــــة مــــن يــــرى في حقــــك الــــدنيا قليلــــة

آخر:

قـــــد بعثنـــــا إليـــــك الـــــ هــ بشــيء فكــن لــه ذا قبــول

لا تقســه علــى نــدى كفــك الغــم ر ولا نيلــــك الكثــــير الجليــــل

فــــاغتفر قلــــة الهديــــة مــــنى إن جهــــد المقــــل غــــير قليــــل

ومن ظرائف الهدايا التي هي من أحسن ما يسطر في الصف ويذكر, ما يروى: أن يحيى بن خالد بن برمك عزم على ختان ولده فأهدى إليه وجوه الدولة كل منهم بحسب حاله وقدرته, فصنع بعض المتجملين العاجزين خريطتين وملأ إحداهما ملحا مطيبا وملأ الأخرى سعدا معطرا, وكتب معهما رقعة فيها: "لو تمت الإرادة لأسعفت العادة, ولو ساعدت القدرة على بلوغ النعمة لتقدمت السابقين إلى خدمتك وأتعبت المجتهدين في كرامتك, لكن قعدت بي القدرة عن مساواة أهل النعمة, وقصرت بي الجدة عن مباهاة أهل المكنة, وخشيت أن تطوى صحيفة البروليس لي فيها ذكر فأنفذت المفتتح بيمنه وبركته وهو الملح والمختتم بطيبه ونظافته وهو السعد, باسطا يد المعذرة, صابرا على ألم التقصير متجرعا غصص الاقتصار على اليسير, والقائم بعذري في ذلك (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج) والخادم ضارع في الامتنان عليه بقبول خدمته

ومعذرته والإحسان إليه بالإعراض عن جراءته, والرأي أسمى. " ثم دخل دار يحيى ووضع الخريطتين والرقعة بين يديه فلما قرأ الرقعة أمر أن تفرغا وتملأ إحداهما دنانير والأخرى دراهم.

***

ومن الحكايات المستظرفة: ما يحكى أن بعض القيان افتصدت فأهدى لها محبوها هدايا فكان من جملتهم من أهدى ثلاث سلال مخيطة ففتحت سلة منها فوجدتها مملوءة ماشا وفيها رقعة مكتوب فيها: ماش خير من لاش. وفتحت الأخرى فإذا هي مملوءة عصافير فطاروا, وفيها رقعة مكتوب فيها: "هذه أعتقتها لوجه الله تعالى شكرا له على سلامتك من فصدك" وفتحت الأخرى فإذا هي فارغة لا شيء فيها إلا رقعة مكتوب فيها: "لو كان لنا شيء لأهديناه" فضحك من كان حاضرا, ولم تدع القينة شيئا مما أهدى غليها إلا أعطته منه.

(اعتذار من لم يهد شيئا)

تأنــــق في الهديــــة كــــل قــــوم ... غليـــك غـــداة شـــربك للـــدواء

فلمـــا أن هممـــت بهـــا مـــدلا ... لموضـــع حـــرمتي بـــك والإخـــاء

رأيـــت كثـــير مـــا أهـــدى قلـــيلا ... لـــديكم فاقتصـــرت علـــى الـــدعاء

آخر:

إن أهـــد نفســـي فهـــو مالكهـــا ... ولهـــا أصـــون كـــرائم الـــذخر

أو أهـــد مـــالا فهـــو واهبـــه ... وأنا الحقيـــق عليـــه بالشـــكر

أو أهـــد شـــكرا فهـــو مـــرتهن بجميـــل فعلـــك آخـــر الـــدهر

آخر:

وافـــق المهرجـــان حاشـــاك مـــنى رقـــة الحـــال وهـــي داء الكـــرام

فاقتصـــرنا علـــى الـــدعاء وفيـــه عـون صـدق علـى قضـاء الـذمام

آخر:

هـــديتي تقصـــر عـــن همـــتي وهمـــتي تفضـــل عـــن مـــالي

فخـــالص الـــود ومحـــض الـــولا أحـــق مـــا يهديـــه أمثـــالي

***

وكان في قلب الأمين من إسحق الموصلي شيء فأهدى له جارية فردها, فكتب إليه إسحق:

هتكـــت الضـــمير بـــرد اللطـــف وكشـــفت أمـــرك لي فانكشـــف

فـــإن كنـــت تحقـــد شـــيئا مضـــى فهـــب للخلافـــة مـــا قـــد ســـلف

وجـــد لي بالعفـــو عـــن زلـــتي فبالفضـــل تأخـــذ أهـــل الشـــرف

فلم يفعل فكتب إليه:

أتيـــــت ذنبـــــا عظيمـــــا وأنـــــت أعظـــــم منـــــه

فخـــــــذ بحقـــــــك أولا فـــــامنن بصـــــفحك عنـــــه

١٧- نهاية الأرب -لشهاب الدين النويري (المتوفي ٧٣٣ هـ)

طبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٧١٩٢٩

وأهدى ابن الحرون إلى بعض إخوانه أقلاما, وكتب إليه:

إنه لما كانت الكتابة -أبقاك الله- أعظم الأمور وقوام الخلافة, وعمود المملكة, أتحفتك من آلتها بما يخف حمله وتثقل قيمته, ويعظم نفعه ويجل خطره, وهي أقلام من القصب النابت في الصحراء الذي نشف بحر الهجير في قشره ماؤه. وستره من تلويحه غشاؤه, فهي كاللآلئ المكنونة في الصدف, والأنوار المجوبة في السدف, وتبرية القشور, درية الظهور, فضية الكسور, قد كستها الطبيعة جوهرا كالوشى المحبر, ورونقا كالديباج المنير.

***

قال ابن خفاجة وقد أهدى مهرا بهيما:

تقبل المهر من أخي ثقة ... أرسل ريحا به على المطر

مشتملا بالظلام من شية ... لم يشتمل ليلها على سحر

منتسبا لونه وغرته ... على سواد الفؤاد والبصر

تحسبه من علاك مسترقا ... بهجة مرأى وحسن مختبر

حن على راحة تفيض ندى ... فمال ظل به على نهر

ترى به والنشاط يحفزه ... ما شئت من فحمة ومن شرر

لو حمل الليل حسن دهمته ... أمتع طرف المحب بالسهر

أحمى من النجم يوم معركة ... ظهرا وأجرى به من القدر

اسود وابيض فعله كرما ... فالتفت الحسن فيه عن حور

فـــازدد ســـنا بهجـــة بدهمتـــه   فالليـــل أذكـــى لغـــرة القمـــر

ومثـــل شـــكري علـــى تقبلـــه   يجمـــع بـــين النســـيم والزهـــر

***

وقال ابن نباتة في فرس أدهم أغر محجل أهدى إليه:

قـد جـاءنا الطـرف الـذي أهديتـه   هاديـــه يعقـــد أرضـــه بســـمائه

أولايـــــة وليتنـــــا فبعثتـــــه   رمحـا سـبيب العـرف عقـد لوائـه

تختـــال منـــه علـــى أغـــر محجـــل   مـــاء الـــدياجي قطـــرة مـــن مائـــه

وكأنمـــا لطـــم الصـــباح جبينـــه   فـــاقتص منـــه فخـــاض في أحشـــائه

مـــتمهلا والـــبرق مـــن أسمائـــه   متبرقعـــا والحســـن مـــن أكفائـــه

مـــا كانـــت النـــيران يكمـــن حرهـــا   لـــو أن للنـــيران بعـــض ذكائـــه

لا تعلـــق الألحـــاظ في أعطافـــه   إلا إذا كفكفـــت مـــن غلوائـــه

* * *

أهـــــــدت إلى بنفســـــــجا   أحبـــب بمهديـــة البنفســـج

فكأنـــــه هـــــي في اللطـــــا   فـــــة والـــــذكاء إذا تأرج

أوراقـــــه اللهـــــب المـــــط   ل علـــى الذبالـــة حـــين تســـرج

أو إثـــــر قـــــرص مـــــؤلم   في وجنـــــة الخـــــد المضـــــرج

وقال الميكالي فيه متفائلا به:

يا مهـــديا لي بنفســـجا أرجـــا   يـــرتاح قلـــبي لـــه وينشـــرح

*بشـــــرني عـــــاجلا مصــــحفه بأن ضـــيق الأمــــور ينفســــح

وتطير آخر به فقال:

يا مهـــديا لي بنفســـجا سمجـــا أود لــــو أن أرضــــه ســــبخ

أنــــذرني عـــــاجلا مصــــحفه بأن عقـــد الحبيـــب ينفســـخ

١٨- مطالع البدور في منازل السرور لعلاء الدين البهائي الغزولي (المتوفي ٨٢٥ هـ) الطبعة الأولى بمصر ١٣٠٠ هـ.

في الهدايا والتحف النفيسة الأثمان

ذكر ابن بدرون في شرحه لقصيدة ابن عبدون عند ذكر كسرى وبنائه للسور المذكور في الباب السادس من هذا الكتاب: "ولما بنى كسرى هذا السور هادته الملوك وراسلته, فمنهم ملك الصين كتب إليه: من يعفور ملك الصين صاحب قصر الدر والجوهر الذي يجري في قصره نهران يسقيان العود والكافور, والذي توجد رائحة قصره على فرسخين, والذي تخدمه بنات ألف ملك, والذي في مربطه ألف فيل أبيض على أخيه كسرى أنوشروان.

وأهدى غليه فارسا من در منضد, عينا الفارس والفرس من ياقوت أحمر, وقائم سيفه من الزمرد منضد بالجوهر, وثوبا حريرا صينيا وفيه صورة الملك على إيوانه وعليه حلته وتاجه, وعلى رأسه الخدم بأيديهم المذاب المصورة من ذهب تحمله جارية تغيب في شعرها يتلألأ جمالها. وغير ذلك مما تهديه الملوك إلى أمثالها" وكتب إليه ملك الهند: "من ملك الهند وعظيم ملوك الشرق وصاحب قصر الذهب وإيوان الياقوت والدر إلى أخيه كسرى أنوشروان ملك فارس صاحب التاج والراية. وأهدى إليه ألف من من عود

يذوب في النار كما يذوب الشمع, ويختم عليه كما يختم على الشمع, وجاما من الياقوت الأحمر فتحه شير مملوء من در, وعشرة أمنان كافور كالفستق وأكبر من ذلك, وجارية طولها سبعة أذراع تضرب أشفار عينيها إلى وجنتيها كأن بين أجفانها لمعان البرق مع إتقان شكلها مقرونة الحاجبين, لها ضفائر شعر تجرها وفراشا من جلود الحيات الين من الحرير وأحسن من الوشى.

وكان كتابه في لحاء الشجر المعروف بالكاذي مكتوب بالذهب الأحمر وهذا الشجر يكون بأرض الهند والصين, وهو نوع من النبات عجيب ذو لون حسن وريح طيبة تتكاتب فيه ملوك الصين والهند.

وكتب ملك التبت: من ملك التبتان ومشارق الأرض المتاخمة للصين والهند إلى أخيه المحمود السيرة والقدر ملك المملكة المتوسطة في الأقاليم السبعة كسرى أنوشروان.

وأهدى إليه أنواعا مما تحمل من عجائب أرض تبت: منها مائة جوشن ومائة ترس مذهبة وأربعة آلاف من المسك في نوافج غزلانية.

وأهدى يعقوب بن الليث الصفار خرسان على المعتمد هدية في بعض السنين, من جملتها: عشرة بزاة, منها بازي أبلق لم ير مثله, ومائة مهر, وعشرون صندوقا على بغال عشرة, فيهم طرائف الصين وغرائبه, ومسجد فضة برواقين يصلى فيه خمسة عشر إنسانا ومائة من مسك, ومائة من عود هندي وأربعة آلاف درهم.

***

وأهدت ملكة فرنجة على المكتفى بالله في سنة ثلاث تسعين ومائتين

خمسين سيفا وخمسين رمحا, وخمسين فرسا, وعشرين ثوبا منسوجا بالذهب, وعشرين خادما صقلبيا حسنا, وعشرة كلاب كبار لا تطيقها السباع, وست بازات, وسبعة صقور ومضرب حرير يجمع ثلاثة وعشرين ثوبا معمولا من صوف يكون في صدف يخرج من البحر يتلون بجميع الألوان كقوس قزح, يتلون كل ساعة لونا وثلاثة أطيار تكون في أرض فرنجة إذا نظرت إلى الطعام المسموم صاحت صياحا منكرا, وصفقت بأجنحتها ليعلم ذلك من حالها, وخرزا يجتذب النصول فتخرج من غير ألم. وقدم الرسول بكتابها وهديتها, وكان في فصل من كتابها: "وعرفت أن بينك وبين ملك قسطنطينية صلة, وأنا أوسع منه سلطانا, وأكثر جندا, وأشد سطوة, وملكي على أربع وعشرين مملكة لسانها لا يشبه الآخر, وفي مملكتي وطاعتي رومية الكبرى.

***

(ومن طرائف الهدايا) ما أهدته شجرة الدر جارية المتوكل, وكان يميل إليها ميلا كبيرا ويفضلها على سائر حظاياه. فلما كان يوم المهرجان أهدى إليه حظاياه هدايا نفيسة واحتفلن في ذلك, فجاءت شجرة الدر بعشرين غزالا مربية, عليهن عشرون سراجا صينيا, على كل غزال خرج صغير مشبك حرير فيه المسك والعنبر والغالية وأصناف الطيب, ومع كل غزال وصيفة بمنطقة ذهب وفي يدها قضيب ذهب في رأسه جوهرة. فقال المتوكل لحظاياه وقد سر بالهدية: ما فيكن من تحسن مثل هذا وتقدر عليه, فحسدنها وعملن على قتلها بشيء سقينه لها فماتت.

***

عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب أبو عبد الرحمن الأمير ولى المدينة للرشيد, ثم ولى الشام والجزيرة للأمين. وجه إلى الرشيد فاكهة في أطباق خيزران وكتب إليه: أسعد الله أمير المؤمنين وأسعد به, دخلت على بستان أفادنيه كرمك وغمرته لى نعمك قد أينعت أشجاره وتهدلت ثماره فوهبت على أمير المؤمنين من كل شيء شيئا على القدرة والإمكان في أطباق القضبان ليصل إلى من بركة دعائه مثل ما وصل إلى من بركة عطائه. فقال رجل: يا أمير المؤمنين, لم أسمع بأطباق القضبان. فقال: يا أبله كنى عن الخيزران بالقضبان إذ كان اسما لأمنا.

***

أنشدني في المجدي فضل الله بن مكانس وقد أهدى له والده تحفا جليلة:

تناهيت في برى على أن هديتني	وقد كنت قبل في الغي ساريا
وأهديت لي ما حير الفكر حسنه	فلا زلت في الحالين للعبد هاديا

***

وأهدى بعض ملوك الهند إلى الرشيد قضيب زمرد أطول من ذراع وعلى رأسه تمثال طائر ياقوت أحمر لا قدر له نفاسة, قوم هذا الطائر على حدته لمائة ألف دينار.

***

ودفع مصعب بن الزبير حين أحس بالقتل إلى مولاه زياد فصا من

الياقوت الأحمر, وقال له: انج بهذا, وكانت قيمته ألف ألف درهم. وسقط من يد الرشيد في ارض كان يتصيد فيها فاغتم لفقده, فذكر له فص ابتاعه صالح صاحب المصلى بعشرين ألف دينار, فأحضره ليكون عوضا عما سقط منه, فلم يره عوضا عنه.

***

ووهب المأمون للحسن بن سهل عقدا قيمته ألف ألف درهم, وقوم الجوهر الذي سلم من النهب عند فتنة المأمون بألف ألف ألف مائة ألف وستة عشر ألف درهم. ووجد في تركة السيدة بنت المعز العبيدي طست وإبريق من البلور, ومدهن ياقوت أحمر وزنه تسعة وعشرون مثقالا, وكان الناس يستعظمون الطست والإبريق إلى أن قبض على أبي مُحَمَّد اليازوري وزير المستنصر العبيدي, فوجد عنده تسعون طستا بأباريقها من صافى البلور وجيده كبارا وصغارا, فهان عليهم ما استعظموه.

وأهدى صاحب قلعة "اصطخر" إلى السلطان الملك العادل ألب أرسلان السلجوقي قدح فيه منوا مسك مكتوب عليه: "جم شاد" أحد ملوك الفرس الأول.

١٩- المستطرف في كل فن مستظرف للشيخ شهاب الدين أحمد الأبشيهي (المتوفي ٨٥٠ هـ) طبعة القاهرة ١٢٧٩ هـ.

(ذو الرياستين) الفضل بن سهل لأنه دبر أمر السيف والقلم, وولى رياسة الجيوش والدواوين, ودخل عليه شاعر يوم المهرجان وبين يديه الهدايا فقال:

اليـــــوم يـــــوم المهرجـــــان	هـــــديتي فيـــــه اللســـــان
لــــك دولتـــــان حديثـــــة	وقديمـــــــة ورياســــــتان
لــــك في الـــورى مـــن هاشـــم	نبـــــت وبيـــــت خســــروان
علـــم الخليفـــة كيـــف أنـــت	فصـــــرت في هـــــذا المكـــــان

فأمر له بجميع الهدايا.

في ذكر الهدايا والتحف

قال الله تعالى (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) فسرها بعضهم بالهدية. وقال ﷺ: (تهادوا تحابوا فإنها تجلب المحبة وتذهب الشحناء).

وقال ﷺ: (الهدية مشتركة) . وقال ﷺ: (من سألكم بالله فأعطوه ومن استعاذكم بالله فأعيذوه ومن أهدى إليكم كراعا فاقبلوه) وكان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها ما هو خير منها. وفي الأثر: (الهدية تجلب المحبة إلى القلب والسمع والبصر).

ومن الأمثال إذا قدمت من سفر فأهد لأهلك ولو حجرا. وقال الفضل بن سهل: ما استرضى الغضبان ولا استعطف السلطان ولا سلبت السخائم, ولا دفعت المغارم, ولا استميل المحبوب, ولا توقى المحذور, بمثل الهدية. وأتى فتح الموصلي بهدية وهى خمسون ديناراً فقال حدثنا عطاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من أتاه الله رزقا من غير مسألة ورده فكأنما رده على الله تعالى) . وأهدى رسول الله صلى عليه وسلم هدية على عمر فردها

فقال: يا عمر لم رددت هديتي فقال ﷺ إني سمعتك تقول: (خيركم من لم يقبل شيئا من الناس) فقال يا عمر إنما ذاك ما كان عن ظهر مسألة فأما إذا من غير مسألة فإنما هو رزق ساقه الله إليك. وقالت أم حكيم الخزاعية سمعت رسول الله عليه وسلم يقول: (تهادوا فإنه يضاعف الحب ويذهب بغوائل الصدر) ويقال في نشر المهاداة طي المعاداة.

ذكر أنواع الهدايا للخلفاء وغيرهم ممن قصرت به قدرته

فأهدى اليسير وكتب معه مكاتبة يعتذر بها أهدى إلى سليمان بن داود عليهما السلام ثمانية أشياء متباينة في يوم واحد فيلة من ملك الهند, وجارية من نلك الترك, وفرس من ملك العرب, وجوهرة من ملك الصين, واستبرق من ملك الروم, ودرة من ملك البحر, وجرادة من ملك النمل, وذرة من ملك البعوض, فتأمل ذلك وقال: سبحان القادر على جمع الأضداد.

وأهدى ملك الروم إلى المأمون هدية فقال المأمون أهدوا له ما يكون ضعفها مائة مرة ليعلم عز الإسلام ونعمة الله تعالى علينا ففعلوا ذلك فلما عزموا على حملها قال: ما أعز الأشياء عندهم قالوا المسك والسمور قال وكم في الهدية من ذلك قالوا مائتا رطل ومائتا فروة سمور.

* * *

وأهدت قطر الندى إلى المعتضد بالله في يوم نيروز في سنة اثنتين وثمانين ومائتين هدية كان فيها عشرون صينية ذهب في عشرة منها مشام عنبر وزنها أربعة وثمانون رطلا, وعشرون صينية فضة في عشرة منها مشام صندل زنتها نيف وثلاثون رطلا, وخمس خلع وشى قيمتها خمسة آلاف دينار, وعملت

شمامات ليوم النيروز بلغت النفقة عليها ثلاثة عشر ألف دينار.

وأهدى يعقوب بن الليث الصفار إلى المعتمد على الله هدية في بعض السنين من جملتها عشرة بازات منها باز أبلق لم ير مثله, ومائة مهر, وعشرون صندوقا على عشر بغال فيهم طرائف الصين وغرائبه, ومسجد فضة بدرابزين يصلى فيه خمسة عشر إنسانا ومائة رطل من مسك ومائة رطل عود هندى وأربعة آلاف ألف درهم.

* * *

وأهديت تريا بنت الأوباري ملكة أفرنجة وما والاها إلى المكتفى بالله في سنة ثلاث وسبعين ومائتين, خمسين سيفا وخمسين رمحا وعشرين ثوبا منسوجا بالذهب وعشرين خادما صقلبيا وعشرين جارية صقلبية وعشرة كلاب كبار لا تطيقها السباع وستة بازات وسبع صقور ومضرب حرير متلون بجميع الألوان كلون قوس قزح يتلون في كل ساعة من ساعات النهار وثلاثة أطيار من الأطيار الإفرنجية إذا نظرت إلى الطعام أو الشراب المسموم صاحت صياحا منكرا وصفقت بأجنحتها حتى يعلم بذلك وخرزا يجلب النصول بعد نبات اللحم عليها بغير وجع وحمارة وحشية عظيمة الخلقة في قدر البغل وآذانها شبه آذان البغل وهي مخططة تخطيطا عاما لجميع خلقتها.

وأهدى قسطنطين ملك الروم على المستنصر بالله في سنة سبع وثلاثين وأربعمائة هدية عظيمة اشتملت قيمتها على ثلاثين قنطارا من الذهب الأحمر كل قنطار منها عشرة آلاف دينار عربية.

وحكى أن الخيزران جارية المهدي كانت أديبة شاعرة فعزم المهدي على

شرب دواء فأنفذت إليه جام بلور فيه شراب اختارته له مع وصيفة بكر بارعة الجمال وكتبت غليه تقول:

إذا خـــرج الإمـــام مـــن الـــدواء وأعقـــب بالســـلامة والشـــفاء

وأصـــلح حالـــه مـــن بعـــد شـــرب بهـــذا الجـــام مـــن هـــذا الطـــلاء

فيـــنعم للـــتي قـــد أنفذتـــه إليـــه بـــزورة بعـــد العشـــاء

فسر بذلك ووقعت بذلك ووقعت الجارية منه أعظم موقع وزار الخيزران وأقام عندها يومين.

* * *

وأهدى الصابي على عضد الدولة اسطرلابا في يوم المهرجان وكتب غليه يقول:

وأهدى إليك بنو الأملاك واحتفلوا في مهرجـــان جديـــد أنـــت تبليـــه

لكـــن عبـــدك إبـــراهيم حـــين رأى سمـــو قـــدرك عـــن شـــيء يدانيـــه

لم يـرض بالأرض يهـديها غليـك وقـد أهـدى لـك الفلـك العلـى بمـا فيـه

* * *

وأهدى رجل على المتوكل قارورة ذهب وكتب معها: إن الهدية إذا كانت من الصغير على الكبير فكلما لطفت ودقت كانت أبهى وأحسن وإذا كانت من الكبير إلى الصغير فكلما عظمت وجلت كانت أوقع وأنفع.

***

وأهدى مرة أبو الهذيل إلى موسى بن عمران دجاجة وصفها له بصفات جليلة ثم لم يزل يذكرها وكلما ذكر شيء بجمال أو سمن قال هو أحسن وأسمن من الدجاجة التي أهديتها إليكم وإن ذكر حادث قال ذلك قبل أن أهدى لكم الدجاجة بشهر وما كان بين ذلك وبين إهداء الدجاجة إلا أيام قلائل فصارت مثلا لمن يستعظم الهدية ويذكرها. قال الشاعر:

وإن امـــرأ أهـــدى إلى صـــنيعة وذكرنيهـــــا مـــــرة للئـــــيم

***

وقال سفيان الثوري إذا أردت أن تتزوج فأهد للأم وكان سفيان يروى عن ابن عباس رضى الله عنه: "من أهديت إليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها" فأهدى إليه صديق ثيابا من ثياب مصر وعنده قوم فذكروا الخبر فقال إنما ذلك فيما يؤكل ويشرب أما في ثياب مصر فلا. وكتب الحمدوني على جارية اسمها برهان وقد حج مواليها فقال:

حجـوا مواليـك يا برهـان واعتمـروا وقـد أتتـك الهـدايا مـن مواليـك

فـأطرفيني بمـا قـد أطرفـوك بـه ولا تكـن طـرفتي غـير المسـاويك

ولسـت اقبـل غـلا مـا جلـوت بـه ثنيتيـــك ومـــا رددت في فيـــك

وكتب بعضهم إلى صديقه وقد أهدى غليه هدية يسيرة يقول:

تفضـــل بالقبـــول علـــى إني بعثـت بمـا يقـل العبـد عنـدك

* * *

وأهدى بعضهم على صديقه هدية في يوم نيروز وكتب غليه يقول هذا

يوم جرت فيه العادة بألطاف العبيد للسادة, وقدر الأمير يجل عما تحيط به المقدرة, وفي سؤدده ما يوجب التفضل ببسط المعذرة, وقد وجهت ما حضر علما بأنه لا يستكثر ما جل, ولا يستقل لعبده ما قل, فإن رأى أن يتطول بقبول القيل كتطوله بإهداء الجزيل فعل, وجعل يقول:

رأيــت كثــير مــا يهــدى إلــيكم   قلــيلا فاقتصــرت علــى الــدعاء

* * *

وبلغ الحسن بن عمارة أن الأعمش يقع فيه ويقول ظالم ولى المظالم فأهدى إليه هدية فمدحه الأعمش بعد ذلك وقال: الحمد لله الذي ولى علينا من يعرف حقوقنا. فقيل له كنت تذمه ثم الآن تمدحه فقال حدثني خيثمة عن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: (جبلت القلوب على حب من أحسن إليها, وبغض من أساء إليها) .

وقال عبد الملك بن مروان ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها: الكتاب يدل على عقل كاتبه, والرسول يدل على عقل مرسله, والهدية تدل على عقل مهديها. والله تعالى أعلم. وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفهرس